

دور علوم الحديث في خدمة العلوم الإنسانية: علم التاريخ نموذجاً

The role of hadith sciences in the service of the humanities: history as a Model

"dawr eulum alhadith fi khidmat aleulum al'insanyt: eilm alttarykh namudhajan"

¹ فراس بن محمد بن ساسي *

مخبر البحث حول: وحدة الحديث والسيرة، معهد الحضارة الإسلامية، جامعة الزيتونة، تونس، الرمز البريدي: 1001، تونس.

¹ firas ben mohamed BEN SASSI

Hadith and Biography Research Laboratory, Institute of Islamic Civilization, University of ZAYTOUNA, TUNIS, Postal Code: 1001, TUNISIA.

firasbensassi81@gmail.com



<https://orcid.org/0000-0002-6812-1373>

تاريخ النشر: 2021/12/31

تاريخ القبول: 2021/12/ 04

تاريخ الاستلام: 2021/ 10/24

توثيق هذا المقال: أسلوب إيزو 690-2010

بن ساسي، فراس بن محمد، ديسمبر 2021. دور علوم الحديث في خدمة العلوم الإنسانية: علم التاريخ نموذجاً. مجلة التراث، المجلد 11، العدد 05، من ص 604، إلى ص 631. [E-ISSN 2602-6813 ISSN: 0339-2253].

TO CITE THIS ARTICLE: Style ISO 690-2010

BEN SASSI, firas ben mohamed, December 2021. The role of hadith sciences in the service of the humanities: history as a Model. AL TURATH Journal. volume 11, issue 05, P 604, P631. [ISSN: -2253 0339 E-ISSN. 2602-6813].

تنبيه:

ما ورد في هذه المجلة يعبر عن آراء المؤلفين ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو الجامعة وتخضع كل منشورات للحماية القانونية المتعلقة بقواعد الملكية الفكرية، ويحمل أصحابها فقط كل تبعات مؤلفاتهم.

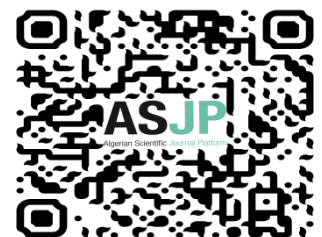


Attention:

What is stated in this journal expresses the opinions of the authors and does not necessarily reflect the views of the editorial board or university. All publications are subject to legal protection related to intellectual property rules, and their owners only bear all the consequences of their literature.

Open Access Available On:

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/323>



V.4.0

*المؤلف المرسل: فراس بن محمد بن ساسي، البريد الإلكتروني: firasbensassi81@gmail.com

يتناول البحث موضوع تداخل العلوم الإسلامية والإنسانية ودور الأولى في خدمة الثانية من خلال نموذجين مهمين هما علم الحديث وعلم التاريخ، حيث قامت هذه الدراسة بإبراز أثر علوم الحديث في نشأة التاريخ باعتباره علماً، وبلورة معارفه وصياغة مناهج البحث فيه، اعتماداً على المنهج الاستقرائي لتتبع مفردات التقاطع والتداخل والاستفادة بين العلمين، والمنهج التاريخي لتحقيق قضية الأصالة والنشأة والمنهج الاستدلالي للتدليل على خدمة علم الحديث للتاريخ والمنهج الوصفي لإيضاح التصور الإسلامي لعلم الحديث ومفرداته التاريخية والمنهج المقارن لموازنة بين منهج المحدثين ومناهج البحث التاريخي المعاصر، وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى إبراز خدمة علوم الحديث لعلم التاريخ منهجياً بتقديم تصور توثيقي متناسق ومُتكامل لم يُسبق إليه، ومناهج حديثة في عرض المادة التاريخية، و معرفياً بإثراء الخزانة التاريخية بمعطيات تخدم التاريخ الاجتماعي والتاريخ البيوغرافي والتاريخ السياسي والتاريخ العسكري وغيرها من الأنماط التي استوجبت عملية التوثيق الحديثة البحث فيها.

كلمات مفتاحية: علوم الحديث؛ علم التاريخ؛ العلوم الإنسانية؛ التداخل بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية.

تصنيفات JEL : I20, Z00, Z19

Abstract:

The research deals with the overlap of Islamic and human sciences and the role of the first in serving the second through two important models: hadith sciences and history, where this study highlighted the impact of hadith sciences on the genesis of history as a science, the crystallization of its knowledge and the formulation of research methods in it, based on the inductive approach to tracking the vocabulary of intersection and overlap and utilization between the two sciences, and the historical approach to achieving the issue of authenticity, origin and the inference approach to demonstrate the service of hadith sciences of history and the descriptive approach to clarify the Islamic perception of hadith sciences. His historical vocabulary and comparative approach to balancing the modernist approach with those of contemporary historical research, through this research, have systematically highlighted the service of hadith sciences to history by providing a consistent and integrated documentary vision that has never been done before, and modern approaches to the presentation of historical material, and cognitively enriching the historical treasury with data that serve social history, biographic history, political history, military history and other patterns in which the modern documentation process required research.

Keywords: hadith Sciences; History; Humanities; Overlap between Islamic Sciences and Humanities.

JEL Classification Codes: I20, Z00, Z19

Résumé:

La recherche traite du chevauchement des sciences islamiques et humaines et du rôle de la première dans le service de la seconde à travers deux modèles importants: les sciences du hadith et l'histoire, où cette étude a mis en évidence l'impact des sciences des hadiths sur la genèse de l'histoire en tant que science, la cristallisation de ses connaissances et la formulation de méthodes de recherche en elle, basé sur l'approche inductive pour suivre le vocabulaire de l'intersection et du chevauchement et de l'utilisation entre les deux sciences, et l'approche historique pour réaliser la question de l'authenticité, de l'origine et l'approche d'inférence pour démontrer le service des sciences des hadiths de l'histoire et l'approche descriptive pour clarifier la perception islamique des sciences des hadiths. . Son vocabulaire historique et son approche comparative pour équilibrer l'approche moderniste avec celles de la recherche historique contemporaine, à travers cette recherche, ont systématiquement mis en évidence le service des sciences des hadiths à l'histoire en fournissant une vision documentaire cohérente et intégrée qui n'a jamais été faite auparavant, et des approches modernes de la présentation du matériel historique, et en enrichissant cognitivement le trésor historique avec des données qui servent l'histoire sociale, l'histoire biographique, l'histoire politique, l'histoire militaire et d'autres modèles dans lesquels le processus de documentation moderne nécessitait des recherches.

Mots clés: Sciences du hadith; Histoire; Sciences humaines; Chevauchement entre sciences islamiques et sciences humaines.

JEL Classification Codes: I20, Z00, Z19

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد،

فلا جرم أن منزلة السنة النبوية في الحقل الإسلامي جعلت كلاءتها وحفظ مرويَّاتها مطلباً مركزياً عليه مدار الحفاظ على الدين عند المسلمين، وقد اكتسب هذا الأمر خطورة في ظل غياب الآليات التقنية والعلمية الكفيلة بالحفاظ على إرث تاريخي وتضييق هامش التحريف فيه خصوصاً إذا كان عميق التأثير في الواقع اعتقاداً وتشريعاً، الأمر الذي استوجب تدخلاً ثقافياً جذباً يستجيب لمطلوبات اللحظة ويسنّ تصوّراً كفيلاً بنقل الأخبار التاريخية من بيداء الأسطورة إلى مضمار الحقيقة، وقد نبغ من هذه الإرادة الدينية مشروع ثقافيّ أصيل يُعنى بنقد مسالك النقل وضبط الأخبار المتعلقة بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر المستطاع اصطلاح عليه بـ "علم الحديث".

وقد وُلد علم الحديث من رحم التفكير العقلي والمنطقي الذي فرضته حيثيات عملية التوثيق ومُتطلّباتها، فلا تجد مُفردة من هذا العلم إلا وقد صدّقها المنطق السليم والعقل الصحيح وأثبتت نجاعتها التجربة والممارسة، فقد حوى علم الحديث في هيكله فُسيفساء مُتناسقة من الروابط المنطقية والمعارف الإنسانية والمطالب الاجتماعية والعلوم المنهجية والأعراف السائدة، وحشد له كلّ ما يخدم مقصده التوثيقيّ من قريب أو من بعيد، ممّا استوجب بحثه في علوم فرعية أنشأها ليستثمرها، وهو الأمر الذي يُفسّر تشعب تطبيقاته وتعدّد مُفرداته، ومن ثمّ فإنّ دائرة علاقات الحديث اتسعت لتستغرق عدّة علوم إنسانية واجتماعية منها علم المناهج وأصول البحث العلمي واللغة والأدب، كما شملت أيضاً "التاريخ" كمُعطى وعلم، باعتباره عُمدة الحكم على الرواة وإثبات الاتصال والانقطاع وضبط النسخ والمنسوخ وفضح كذب المتون وغيرها، وفي هذا يقول سفيان الثوري: "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"¹، فكان التوجّه لخدمة التاريخ أساساً منهجياً ومعرفياً لتحقيق مقصد علم الحديث بل مثل البحث التاريخي عند المحدثين عياراً للحكم الصحيح، واستلزم العمل على ضبط بيانات التاريخ وترتيبها وسنّ منهج لتحليلها واستثمارها، فأثمر هذا الجهد اللبّات الأولى لعلم التاريخ عند العرب كما قال الدكتور حسين مؤنس: "شجرة التاريخ عند العرب نبتت في ثرية علم الحديث"² بل إنّ بداية الكتابة فيه كانت كفرع من فروع علم التاريخ³، ومن مظاهر تداخل العلمين كثرة المحدثين الذين جمعوا بين الصنعة الحديثية والمعرفة التاريخية كعروة بن الرّيزير وأبان بن عثمان ووهب بن منبّه، وابن شهاب الزّهري والخطيب البغدادي⁴ وابن عبد البر⁵ والذهبي⁶ وابن كثير⁷ والسخاوي والسيوطي⁸ وغيرهم.

• مشكلة الدراسة

هل من تداخل بين علوم الحديث وعلم التاريخ؟ وهل يُمكن القول بأنّ علوم الحديث خدمت علم التاريخ وأسهمت في تطويره وبلورة مناهجه ومعارفه؟

• فرضيات الدراسة

يفترض البحث خدمة علوم الحديث لعلم التاريخ

• أهداف الدراسة

تكمّن أهميّة هذا البحث في دراسته لمسألة مهمّة من مسائل المعرفة الإنسانية، وهي تداخل العلوم، فتحاول أن تُبيّن أوجه الاستفادة والتأثير عبر معالجة نموذجين مهمّين أحدهما من الحقل الإسلامي وهي علوم الحديث، والآخر من الحقل الإنساني وهو علم التاريخ

• أهمية الدراسة

تهدف من خلال هذه الدراسة إلى:

- رصد صور استفادة علم التاريخ منهجياً ومعرفياً من علوم الحديث،
- بيان مدى تأثير العقل الإسلامي في بلورة المعرفة الإنسانية والإسهام في تطويرها.
- إبراز دور المحدثين في الرقي بالواقع العلمي.
- إثبات المساهمة الإسلامية في حقل المعرفة الإنسانية

• حدود الدراسة

في إطار الكلام عن دور علوم الحديث في خدمة العلوم الإنسانية، يقتصر البحث على علم التاريخ كأحد أبرز مفردات العلوم الإنسانية، ويُحاول الاهتمام غالباً بصور التأثير البارزة والمهمّة منهجياً ومعرفياً.

• مصطلحات الدراسة وتعريفاتها

تعريف علوم الحديث:

علوم الحديث هي العلوم التي تدرس حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث الثبوت والمعنى والعرض، وتنقسم إلى علوم توثيقية تُعنى بالتحقق من نسبة الحديث للنبي صلى الله عليه وسلم، وعلوم بيانية تدرس الحديث من حيث سياقه ومعناه وعلاقاته في المدونة التشريعية، وعلوم منهجية تُقدم مفتاحاً للتعامل مع المكتبة الحديثية.

تعريف العلوم الإنسانية

هي العلوم التي تتخذ من الكائن البشري موضوعاً للدراسة، وتهدف إلى معرفته وفهم دلالة أفعاله، وتشمل هذه العلوم على فروع عديدة تقوم بدراسة الإنسان من جوانب مختلفة كعلم النفس وعلم التاريخ وعلم السياسة وعلم الاقتصاد والإدارة وغيرها⁹

تعريف علم التاريخ:

تعود كلمة "التاريخ" في اللغة إلى أَرخ وقيل وَرَخ، ويُرادُ بها التعريف والإعلام بالوقت، وهي والتّورخ سواء، يُقال أَرخت الكتاب وورّختهُ، أي بيّنتُ وقتَ كتابته، وقيل اشتقاقه من الإرخ - بفتح الهمزة وكسرهما - وهو صغار الأُنثى من بقر الوحش، لأنّه شيء حدث كما يحدث الولد¹⁰.

وعرّف التاريخ أيضاً الكافيجي¹¹ -صاحب أول تأليف في علم التاريخ- بقوله: "علم يُبحث فيه عن الزّمان و أحواله وعن أحوال ما يتعلّق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته"¹²، لينحو به منحى المؤرّخين القدامى في تصوّرهم للتاريخ وكونه رصداً للوقائع التاريخية وحسن عرضها بأمانة .

ويُعرفه السّخاوي¹³ بقوله: "والحاصل أنّه فنّ يُبحث فيه عن وقائع الزّمان من حيث التّعيين والتّوقيت بل عمّا كان في العالم"¹⁴

← التّاريخ علم يبحث في آليّات ضبط الوقائع التّاريخيّة ومسالك تفسيرها واستثمارها وطُرق عرضها.

• الإطار النظري

يتنّزل البحث في إطار الدّراسات التي تُعتى بالتّدخل المعرفي بين العلوم عموماً، وبين العلوم الإسلاميّة والعلوم الإنسانيّة خصوصاً، حيث سعى إلى إثبات تأثير علوم الحديث في العلوم الإنسانيّة من خلال علم التّاريخ عبر تقديم نماذج وأدلة تثبت صحّة الفرضيّة.

• منهجية الدراسة

- عملت في هذا البحث على إبراز دور علوم الحديث في خدمة علم التّاريخ مُتّبعا المنهجية الآتية:
- تتبّع المسائل العلميّة في جميع المظان التي تحتاجها الدّراسة، ومُحاولة تصنيفها وعرضها بما يخدم أهداف البحث وقُدّم تصوّراً واضحاً حول الموضوع.
 - تحليل المسائل واستجلاء النّقاط الهامّة فيها.
 - المقارنة بين المناهج الإسلاميّة والمناهج الإنسانيّة المتعلّقة بعلم التّاريخ المعاصر.
 - نقد بعض التّوجّهات التي من شأنها تقديم تصوّرات مغلوطة حول علوم الحديث.
 - الاستفادة من أقوال المحدثين ومشاهير المؤرّخين القدامى والمعاصرين على حدّ السّواء.
- وتمّ اعتماد الخطّة الآتية:

يتكوّن البحث من مقدّمة ومبحثين وخاتمة.

المقدّمة: ذكرت فيها مشكلة البحث وأهداف الدّراسة وحدود البحث ومنهجية الدّراسة والخطّة وعُرّفت فيها أبرز المصطلحات.

المبحث الأول: دور علوم الحديث في خدمة علم التّاريخ منهجيّاً، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آليّة الإسناد

المطلب الثاني: أساليب عرض التّرجمة

المطلب الثالث: منهج نقد الأخبار

المبحث الثاني: دور علوم الحديث في خدمة علم التّاريخ معرفيّاً، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشخصيّات التّاريخيّة

المطلب الثاني: خدمة التّاريخ الاجتماعي

المطلب الثالث: خدمة التّاريخ السياسي والعسكري

المطلب الرابع: خدمة تاريخ البلدان

المطلب الخامس: ضبط المعرفة التّاريخيّة

المطلب السادس: بعث التّعليم التّاريخي.

المبحث الأول: دور علوم الحديث في خدمة علم التاريخ منهجياً

أسهمت علوم الحديث في خدمة التاريخ منهجياً، فقدّمت زاداً علمياً رائداً في المجال، وأسست لنظريات لم تُسبق إليها حتى كان للمحدثين الريادة في بناء التأسيس العلمي لعلم التاريخ، ولعلّ من أبرز التطبيقات المنهجية المُقدّمة في هذا الصدد: آلية السند ومنهج النقد ومنهج عرض المادّة التاريخية

المطلب الأول: آلية الإسناد

تتفاوت مراقبي النقد عند المحدثين حسب نوع العلة وموضعها وملاحظها ناهيك عن تأثيرها على ثبوت الخبر، بيد أنّ من العلل ما لا يستوجب غير مجرد النظر في بنية الحديث فقط، وهي مرحلة المعاينة الأولية للتأكد من وجود المقومات البنيوية الأساسية، والتي يتم إثرها طرح فرضية ثبوت الخبر في ذهن المحدث والعمل على إثباتها أو نفيها، وتكمن هذه المقومات في ثنائية المتن - أي الخبر المراد إثباته - والسند الذي يُعطي للمتن مشروعيتّه التاريخية بناء على سلسلة من الرواة يُفترض أن تربط بينهم علاقات تاريخية وثقافية وجغرافية وعقلية مخصوصة، لذلك فإنّ غياب السند يوجب سقوط الحديث شكلاً فضلاً عن كونه مدعاة للسخرة كما قال شعبة بن الحجاج: "كلّ حديث ليس فيه حدّثنا وأخبرنا، فهو خلّ وبطل" ¹⁵.

ويُعَدّ الإسناد خاصيّة إسلاميّة لم تعرفها أمة من الأمم ولم يكن لها أثر في كتابات الإنسان قبل الإسلام رغم أهميتها كما جاء في كلام ابن حزم عن الإسناد قوله: "نقل الثقة عن الثقة، حتى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلّم مع الاتصال يُخبر كلّ واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه وكلّهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان: خصّ الله به المسلمين دون سائر أهل الملل كلّهم" ¹⁶ وهذه الأصالة برهان جليّ على نضج العقل الإسلامي وسعيه إلى المساهمة الفاعلة في مسار العلوم والتطوّر الفكري من مُنطلق دينيّ بالأساس، لذلك اعتُبر الإسناد على لسان عبد الله بن المبارك من الدّين ليكون بذلك أحد تطبيقات العبادة في الإسلام، الأمر الذي ساهم في الحرص على إتقانه وضبطه والعناية به بدقّة مُتناهية. ¹⁷ وقد ساهم تصدّي المحدثين لكتابة التاريخ وتداخل الاختصاصات حينها في إنفاذ ثقافة الإسناد إلى التدوين التاريخي ليكون أمانة نضج واستقرار لعلم التاريخ، وأدّت هذه الإضافة المنهجية إلى الحدّ من غموض المصدر وإتاحة النقد وتشريك المُتلقي فيه علاوة عمّا تعكسه من دقّة البحث وما تُفسّره في كثير من الأحيان من غرابة الخبر.

هذا التأثير الحديثي المنهجي في الصّناعة التاريخية يُدرك مباشرة بمجرد الاطلاع السّريع على بعض كتب التاريخ الإسلامي القديمة التي وصلت إلينا، بل نجد في بعضها تصريحاً واضحاً من المؤلّف باستعمال الإسناد والتزامه في خطّه التحريريّ كصنيع الإمام الطّبري (310هـ) في مقدّمة كتابه "تاريخ الرّسل والملوك" لما قال: "وليُعلم النّاطر في كتابنا هذا أنّ اعتمادنا في كلّ ما أحضرت ذكره فيه ممّا شرطت أنّي راسمه فيه، إنّما هو على رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مُسندها إلى رُؤاها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النّفوس إلّا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادّثين، غير واصل إلى من لم يشاهده ولم يُدرك زمانهم، إلّا بإخبار المخبرين، ونقل النّاقليين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النّفوس. فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه أو يستشعنه سامعه، من أجل أنّه لم يعرف له وجهها من الصّحّة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنّه لم يؤت في ذلك من قِبَلنا، وإنّما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وأنا إنّما أدّيت ذلك على نحو ما أدّى إلينا" ¹⁸، ونجد يُؤكّد على فكرة الإسناد في طيّات مؤلّفه كقوله: "لو كان صحيحاً

سنده لم نعد القول به إلى غيره¹⁹ ويجعل غيابه في بعض الأخبار مدعاة للطعن كقوله: "وأما ابن إسحاق فإنه لم يُسند قوله الذي قاله في ذلك إلى أحد، وذلك من الأمور التي لا يُدرك علمها إلاّ بخبر من الله عزّ وجلّ أو خبر من الرّسول صلى الله عليه وسام وقد ذكرت فيه رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".²⁰، وشأن الإمام الطّبري في إيراد الأسانيد شأن غيره من المؤرّخين المتقدّمين والمتأخّرين على غرار خليفة بن الخياط في تاريخه والواقدي في مغازيه ومحمد بن إسحاق في سيرته وابن كثير الذي ذكر في البداية والنهاية أكثر من 7000 حديثا وسندا مُسندا وغيرهم.

ومثال ما سبق:

-من تاريخ الطّبري: "حدّثنا أبو هشام قال: حدّثنا معاوية بن هشام، عن سفيان عن الأعمش عن أبي صالح، قال: قال كعب: الدّنيا ستّة آلاف سنة"²¹

-من مغازي الواقدي: "قال حدّثني عبد الله بن يزيد عن سعيد بن عمرو الهذلي، قال قدم رسول الله المدينة..." الحديث²²
-من البداية والنهاية: "قال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبي حدّثنا أبو سلمة حدّثنا جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال:..."²³.

وقد أدرك المؤرّخون أنّ الإسناد هو أهمّ آليّة توثيقية يُمكن اعتمادها في سبر الأخبار، فانعكس ذلك في مناهجهم وحرصوا على ذكره في الأخبار المهمّة التي تحتاج تدقيق بسبب تأثير الأهواء فيها مثل الفتنة زمن عثمان وموقعة الجمل و ثورة ابن الأشعث وغيرها، في حين أنّهم قد يتساهلون في ذكر الإسناد إذا تعلّق الأمر بقوائم أسماء الشّهداء وتواريخ الوفيات وقوائم موظّفي الدّولة وغيرها من الأحداث التي يضيق هامش الدّسّ فيها²⁴.

واستفاد المؤرّخون أيضا من بعض صور إيراد الإسناد فكانوا غالبا يُقرّدون الإسناد، وجمعوا في بعض الأحيان بين الأسانيد على منهج المحدثين كصنيع الطّبري في قوله: "حدّثنا ابن وكيع ومحمد بن هارون القطّان قالوا: حدّثنا يزيد بن هارون..."²⁵ و صنيع الواقدي بأكثر توسّع في قوله: "قال: حدّثني ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عبّاس رضي الله عنه، ومحمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة ومعاذ بن محمد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وإسماعيل بن إبراهيم عن موسى بن عُقبة وكلّ قد حدّثني من هذا الحديث بطائفة، وعماد حديثه ابن أبي حبيبة".²⁶ ولم يفتهم أثر جمع الأسانيد على تداخل ألفاظ المتون فبيّنها على منهج المحدثين وعزوها بما لا يدع مجالا للاشتباه²⁷، بل قد يُبْهون في عدّة مواضع على اختلاف الروايات²⁸.

واهتمّوا فيما يتعلّق ببنية الإسناد بضبط أسماء الرّواة والتفريق بينهم بما يقتضيه المقام من ذكر النّسب أو البلد أو الكنية أو غيرها²⁹ كما اهتمّوا بمصدر الإسناد وعلاقته بالحادثة المنقولة فكان خليفة بن الخياط مثلا إذا ما أورد أخبار الفنونحات ذكر سنيين على الأقلّ، أحدهما برواة البلد المفتوح، وآخر برواة الأصل أي المدينة³⁰ وأفادوا أيضا من صيغ التّحمّل التي اعتمدها المحدثون في ضبط صورة نقل الخبر بين حلقات الإسناد، فنجد "حدّثنا وأخبرنا" عند السّماع³¹، و"كتب إليّ"³² عند المكاتبة، "قال" متبوعة باسم المؤلّف عند الإجازة أو الوجادة³³.

حضور هذه الآليّة في التّاريخ أحدثت تطوّرا عميقا على مُستوى نقل الخبر وتوثيقه وتحديد هيكله خاصّة بالمدوّنة التّاريخيّة استمدّت مشروعيتها من منهج المحدثين وفرضت شروطا مُعيّنة صارت ملزمة للكثيرين في تلك الحقبة، كما عكست مدى جدّيّة المؤلّف في التّأليف والنّقل و مكّنت القارئ من التّقييم والمشاركة في التّقد والتّمحيص، ولا ننسى أيضا أنّ مجرد ذكر الإسناد

ساهم في التعريف - ولو بذكر الاسم - بشخصيات علمية ساهمت في نقل الأخبار التاريخية فالإسناد - بغض النظر عن كونه آلية منهجية توثيقية - هو أيضاً مصدر للمعرفة التاريخية .

دلت كل المظاهر السابقة التاريخ على استفادة علم التاريخ من منهج المحدثين بما لا يدع مجالاً للشك، إلا أنه يجدر بنا في هذا المقال أن نشير إلى أن الإسناد - على ما قدمه من الإضافة للتاريخ والمؤرخين - لم يبلغ ما بلغه عند المحدثين، فكثيراً ما نرى إغفالاً له واعتماداً لصيغ التمرّض في العزو³⁵، أو النقل عن الضعفاء والمتروكين³⁶، ذلك أن هذه الآلية تحتاج إلى دعائم خارجية متصلة بالاختصاص، ولما كان نظر المحدثين في إبداعهم للإسناد قاصراً على الحديث النبوي، فإن تطبيقه في أي اختصاص آخر لن يكون بالتجاعة المنشودة إلا إذا توقرت روافده وضبطت خصوصياته حسب المجال من حيث الرجال خصوصاً.

المطلب الثاني: منهج نقد الأخبار

رغم كل ما خدمت به علوم الحديث الخزانة التاريخية منهجياً، تبقى المساهمة الأبرز والأهم نقدية بامتياز، فلم يعلم أن أمة من الأمم جاءت بمنهج نقد للأخبار التاريخية كما صنع المحدثون مع أخبار نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم مما جعل جهدهم أصيلاً فريداً لا نظير له. ورغم أن فكرة نقد الأخبار لم تكن جديدة على الفكر الإنساني خصوصاً وأن أولى المحاولات النقدية التاريخية كانت يونانية³⁷، إلا أن ما جاء به المحدثون بلغ المتهى في الأصالة والدقة والتجاعة، و أسس لا أقول لمنهج النقد التاريخي فقط بل لمناهج البحث عامة ناهيك عن بلورته لفكرة النقد التاريخية التي حضرت نظرياً في المخيال اليوناني وغابت عن الواقع بغياب آلياتها وتقنياتها ومناهجها كما قال المؤرخ أسد رستم: "لكن أحداً منهم فيما نعلم - يقصد اليونان وغيرهم من سبق الإسلام - لم يحاول أن يجعل من هذا النظر إلى الروايات التاريخية على حقيقتها علماً بأصول"³⁸، وقد أشاد بهذا المنهج كبار المؤرخين والمستشرقين³⁹ نكتفي في هذا المقام بصنيع رستم في كتابه "مصطلح التاريخ" لما قام بمحاولة استنساخ تجربة المحدثين وتكوين منهج يضاهي طريقتهم واستعمل في ذلك مصطلحاتهم حتى قال: "فانبروا- أي المحدثون - لجمع الأحاديث ودرسها وتدقيقها فأتحفوا علم التاريخ بقواعد لا تزال، في أسسها وجوهرها، محترمة في الأوساط العلمية حتى يومنا هذا" .

وأشير بداية إلى أن مدار الاهتمام هنا لا يتعلق بفلسفة المنهج النقدي عند المحدثين بقدر ما يعني بأثر النقد الحديثي في الدراسات النقدية التاريخية، لذلك سيتم التركيز على نقاط التقاطع وأصالتها في العمل الحديثي بعد عرض معالم المنهج النقدي عند المحدثين ومنهج البحث التاريخي القديم والمعاصر من مصادره الأصلية⁴⁰.

• العمل النقدي عند المحدثين

يتعامل المحدثون أساساً مع روايات يُحاولون دراسة مدى صحة نسبتها إلى قائلها، وقد وجدوا أنفسهم إزاء وضعية دينية واجتماعية وسياسية وثقافية تفرض عليهم غربة علمية لهذه الأخبار قبل اندثارها وانحراق أثرها، فانطلقوا من بعض الإشارات القرآنية والنبوية وكثير من الأسس العقلية لإنتاج مسارات نقد مختصة، لها ملامحها التاريخية العامة وخصوصيتها العلمية المنبثقة من الزمانات والتحديات والمقاصد الخاصة بالحديث النبوي دون غيره، لذلك نجد في هذا المنهج ما ينسحب على كل الأخبار التاريخية دون استثناء ونجد ما هو حكر على هذا الاختصاص لا يمكن بل لا يجوز علمياً تطبيقه في غير هذا المجال.

وقد غني المحدثون بداية بحصر المادة العلمية المعنية بالنقد في عملية تُسمى بـ "التقميش"، فجمعوا كل انتهوا إليه وحرصوا على عدم هدر أي رواية بغض النظر عن كل الاعتبارات المؤثرة على الحكم، كما ضبطوا هيكل الرواية التي تمنح تأشيرة المرور إلى عملية النقد، والمتمثلة في ثنائية السند والمتن، فلا يتم الشروع في عملية البحث عن المطابقة بين الرواية والحقيقة إلا بعد توفرهما،

وهذه أولى عمليّات الانتخاب بعد الجمع، ليتمّ إثر ذلك اختبار الأخبار لتحقيق مُتطلّبات الرّواية الثّابتة من منظورهم، فينقدون السّند نقداً أوّليّاً عبر دراسة رجال الإسناد دراسة تفكيكيّة كلّ رجل على حدة بداية بناقل الرّواية (سند+متن) أي الرّوي الأدي وانتفاء بقيّة الرّواة، فيعرضون الاسم والنسب والمحيط الاجتماعيّ عائلاً وإخوةً وأقارب، والثّقافيّ شيوفاً وطلبةً وتلاميذاً، والحماله والتّنقّلات العلميّة والمميّزات والوظيفة الاجتماعيّة، ثمّ يوردون الحكم الأخلاقيّ الأوّليّ أي العدالة، والحكم العلميّ الأوّليّ أي الضّبط، والذين تمّ التّوصّل لهما انطلاقاً من منهج خاص في نقد الرّواة نشأة بالتّوازي مع نقد المرويّات، وقام على معايير عقليّة سيتمّ عرضها لاحقاً، وبهذا يتمّ التّحقّق الأوّليّ من مدى تواجد السببين الوحيدين لانعدام المطابقة بين الخبر والحقيقة، وهما الكذب والخطأ، إذ لا يُمكن -عقلاً- لأيّ خبر أن يكون مخالفاً للحقيقة إلّا بسبب ناقله، ولا يمكن أن يخرج التّأثير السّلبى للتّناقل على الخبر عن العمد أو عدمه، وتعمّد الخطأ كذب و عدمه خطأ، وتجرّد الإشارة هنا أنّ بقيّة المراحل التّقديّة في منهج المحدثين ليست إلّا مزيداً من التّأكّد من العدالة والضّبط، فما يتمّ إيرادها في حقّ الرّجال جرحاً وتعديلاً ليس إلّا حكماً ابتدائياً يتمّ إثباته أو نفيه في مراحل أعمق توصلنا إلى الحكم التّنهائي، لذلك يتمّ بعد الدّراسة التفكيكيّة لكلّ رجل من رجال السّند دراسة السّند دراسة تأليفيّة عبر التّحقّق من العلاقات الخارجيّة بين الرّواة والتّأكّد من مسالك الرّواية بينهم من حيث إمكانيّتها التّاريخيّة والجغرافيّة والاجتماعيّة والعلميّة، ومن حيث صفتها الاصطلاحيّة، فاستثمروا تاريخ الرّجال ومحيطهم العلميّ خصوصاً ووفاتهم في إثبات إمكانيّة العلاقة العلميّة، كما ضبطوا الاصطلاحات التي تدلّ على الاتّصال وعدمه وحصوله بشروط، وهو ما يُعبّر عنه بصيغ الأداء والتّحمّل وشروطهما وخصائصهما، ليصلوا في هذه المرحلة إلى تضيق هامش الخطأ إلى حدّ بعيد نظراً لتشابك الأسانيد وتعدّد مسارات الرّواية وضبط المدارات والطّبقات بما يجعل تأليف الإسناد صعباً، ومع هذا تتواصل الدّراسات التّقديّة المعمّقة للتّأكّد من العدالة والضّبط من خلال اختبار الشذوذ والعلل في التّقد العميق للسّند، حيث إنهم لم ينظروا للسّند كآليّة توثيقية إلّا بعد نقده باعتباره مُعطى تاريخياً، وهي مرحلة يُعتمد فيها أساساً على مُقارنة المرويّات وتحديد الاختلافات والتّفردات والتّقرّرات والأوهام في صورها الممكنة عقلاً على غرار الإرسال والتّدليس والوقف والسّقط الخفيّ وعدم السّماع والتّفرد وسلوك الجاذة والزّيادة والشذوذ وتداخل الأسانيد والانقطاع، فحدّدوا لكلّ خلل اصطلاحاً ولكلّ حالة قرائن ومُرجّحات، ولكلّ تجاوز مُقتضيات، وقد استهدفت هذه العمليّات التّقديّة الدّقيقة الإسناد بالأساس خدمة للمتن نظراً لكون الغلط في المتن لا يُمكن أن يكون إلّا بسبب السّند، إلّا أنّهم لم يُغفلوا التّقد المُجرّد للمتن، فنقدوه أوّليّاً بضبط الألفاظ وتحديد الصّيغة التّنهائيّة عبر معالجة الإشكاليّات الممكنة كالرّواية بالمعنى والاختصار والقلب والإدراج والزّيادة والتّصحيف وتداخل المتن، ثمّ أوردوا في التّقد العميق للمتن إمكانيّة المصلحة فدرسوا قضيّة البدعة في نقد العلاقة بين القائل والقول، وإمكانيّة عدم التّقطّن للكذب و الخطأ فدرسوا صلاحية تواجد الخبر في الإطار المشروع للحديث النبويّ بما له من خصائص تمّ الاتّفاق عليها سابقاً، والمُتعلّقة بالانسجام العلميّ مع القرآن و بقيّة الأحاديث والقواعد والأصول الشرعيّة، والتّوافق السّياقيّ مع الإطار التاريخي، والتّماهي الاصطلاحى مع استعمالات القائل وهو الرّسول صلى الله عليه وسلّم، وعدم الوقوع في الاستحالة العقليّة، ليصلوا بعد ذلك إلى إصدار حكم نهائيّ بخصوص مطابقة الخبر للحقيقة

• منهج التّقد التاريخي

يسعى البحث التاريخي في جوهره إلى إثبات الوقائع وعرضها في نسيج كرونولوجي مُتناسق انطلاقاً من رواية أو وثيقة يتمّ تحليلها للوصول إلى المعنى الحقيقي المقصود فيها، ثمّ محاولة تقدير ما إذا كان بين هذا المعنى الحقيقي المقصود والحقيقة الموضوعيّة اتّفاق، عبر عمليّة التّقد، ليتمّ إثر ذلك ربط الأحداث وعرض المادّة في قوالب مخصوصة ذات معايير مضبوطة ومُتوافقة.

- منهج البحث التاريخي عند المسلمين

سبق المؤرخون المسلمون إلى محاولة ضبط ملامح العملية النقدية التاريخية استلهاما من تصوّر المحدثين في المجال، فذهب الكافيجي في مختصره إلى تحديد شروط المؤرخ على منهج المحدثين بقوله: "وينبغي أن يشترط في المؤرخ ما يشترط في راوي الحديث من أربعة أمور: العقل والضبط والإسلام والعدالة، ليكون كلّ واحد منهما معتمدا في أمر الدين، وأميناً فيه، ولتزداد الرغبة في تاريخه وللاحتراز عن المجازفة والافتيات فيحصل له الأمن من الوقوع في الضلالة والإضلال"⁴¹ ثم أشار إلى اعتبارات التأريخ الخمسة وهي الحضور والعيان، والعلم واليقين، وغلبة الظن، والتعارض بلا ترجيح، وما عدا ذلك⁴² وبين مستندات الرواية التاريخية في قوله: "ولا بدّ له من مستند في تاريخه فإن قلت: وما المستند؟ قلت المستند هو ما يصحّ له من أجله أن يروي ما رواه ويقبل منه، فإن لم يحصل له مستند له فيه لم يجز له شيء من ذلك شرعا، وهو السماع من الشيخ أو القراءة عليه والإجازة والمناولة والكتابة والوجادة على ما فصل في موضعه"⁴³، وهي ذاتها طرق التّحتمل عند المحدثين، ليتوسّع الإمام السخاوي في كتابه "الإعلان بالتّوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ" في ذكر شروط المؤرخ في قوله: "وبالجملة فالشرط مع العدالة والضبط، والتّمييز بين المقبول والمردود، ممّا يصل إليه من ذلك، وبين الرّفع والوضع، وعدم العداوة الدنيوية، والمحابة المفضية للعصبية المعبر بعضهم عنه بتجنّب الغرض والهوى في الفهم، بحيث لا يكون جاهلا بمراتب العلوم، سيما الفروع والأصول، ويفهم الألفاظ ومواقعها، خوفا من إطلاق ألفاظ لا تليق بالترجمين...، ويحتاج للمؤرخ مصاحبة الورع والتّقوى بحيث لا يأخذ بالتّوهّم والقرائن التي تختلف..."⁴⁴ وقد أشار قبله الإمام السبكي إلى هذا في سياق الحديث عن شروط المؤرخ فذكر الصدق واعتماد اللفظ دون المعنى وأن لا يكون ذلك الذي نقله أخذه في المذكرة وكتبه بعد ذلك وأن يُسمّى المنقول عنه وأن يكون عارفا بحال صاحب الترجمة علما ودينا وغيرها من الصّفات وحسن العبارة وحسن التّصوير وأن يتجنّب الهوى⁴⁵.

فالتّقد التاريخي عند المسلمين مداره أبحاث المحدثين مع شيء من التّساهل في تطبيق القواعد كما قال الكافيجي: "فإن قلت، فهل يجوز له أن يروي في تاريخه قولاً ضعيفاً؟ قلت نعم يجوز له ذلك في باب التّرجيب والتّرهيب والاعتبار، مع التّنبه على ضعفه، لكن لا يجوز له ذلك في ذات الباري وفي صفاته ولا في أحكامه وهكذا جواز رواية الحديث الضّعيف على ما ذكر من التّفصيل"⁴⁶.

- منهج البحث التاريخي عند الغرب

يسمّى بالمنهج الاستردادي، ويُعتبر امتداداً لمنهج ابن خلدون⁴⁷، واستلهاما من مدرسة المحدثين، وهو أرقى ما وصلت إليه الدّراسات التاريخية المعاصرة بعد محاولات وتراكمات علمية مُتفاوتة الدّقة والعمق، قيّمها الدكتور عبد الرّحمان بدوي بقوله: "إنّ الكتب المتّصلة بالمنهج التاريخي والتي سبقت كتابهما المذكور - أي لانجلو وسينوبوس - سيئة جدّاً لدرجة كبيرة بيد أنّها ليست عديمة الفائدة مُطلقاً، فقد تكوّن شيئاً فشيئاً كثير من الملاحظات الدّقيقة والقواعد الصّحيحة التي أوحّت بها الممارسة العلميّة للتّاريخ"⁴⁸، كما تجدر الإشارة إلى أنّ هذا التّوجه وليد المدرسة الوضعيّة التاريخية التي حاولت التّعامل مع التاريخ كعلم دقيق له مقاييس مضبوطة ومعايير معلومة في التّقد مدارها الوثيقة، ويُعرض هذا المنهج على أساس كونه سبقاً إنسانياً في مضمار البحث التاريخي مُغفلين الموروث الإسلامي في هذا الباب حتى ذهب المؤرخ حسين مؤنس إلى أنّ كلّ تاريخ لتطوّر علم التاريخ نقرأه في كتاب غربي لا بدّ أن يكون ضرورة ناقصاً لكونه يُسقط من الحساب - كليّاً أو جزئياً - دور المسلمين الضّخم وقال كلاماً دقيقاً في مقارنة آخر ما وصل إليه الغرب بما أبدعه المحدثون المسلمون مفاده "إذا كانت مدرسة الوثائقيين وأهل التّوثيق الكامل في

الغرب، وهي مدرسة ليوبولد فون رانكه، ويعقوب بوركهارت، هي ذروة ما وصل إليه العلم التاريخي في القرن التاسع عشر، فإن مؤرخينا المسلمين بدأوا بالذات من هذه النقطة، بدأوا على طريقة المحدثين المدققين الذين لا يرون خبراً إلا اعتماداً على سند متين موصول من راو ذو صدق وأمانة، وساروا بعد ذلك على مناهج علمية جديرة بكل تقدير، ولهم نتيجة لهذا فضل كبير جداً في تطوير هذا العلم، ولكن مؤرخي الغرب ساروا على مبدأ العلم كله غربي، وفي ميدان التأريخ يبدوون من هيرودوت وثوكيديدس، وينتهون عند تويني وهويتسنجا ومن إليهما من معاصرنا⁴⁹.

ويرى منظرو هذا المنهج أنّ التاريخ لما كان يُصنع من الآثار التي خلفتها الأفكار والأفعال وغالباً ما تكون وثائق، كان لزاماً أن يكون مدار الصنعة التاريخية المعاصرة على جمع أكثر ما يمكن من الوثائق لسدّ النقص و حسر منسوب الاجتهاد في صناعة المعلومة، وهو ما يُعبّر عنه بـ"التقميش"، ثم يبدأ **النقد الخارجي أو نقد التحصيل** الذي يُحاول في المرحلة الأولى الموسومة بـ **نقد التصحيح** التأكّد من صحّة نصّ الوثيقة وتحقيقه، وتكون هذه المرحلة بسيطة في حال وجود النصّ الأصلي، فيكتفى بنشر النصّ بدقّة كاملة كما هو، أمّا إذا غابت النسخة الأصلية فترد حينئذ حالتان، **الأولى** توفر نسخة وحيدة من الأصل، فلا بُدّ وقتها من أخذ الحيلة مظهر الغلط أو التزييف عن طريق معرفة اللغة والخطّ وغيرها من كواشف التزييف، **والثانية** توفر نسخ عديدة، فيتمّ تحديد العلاقات بينها وبين الأصل ووضع شجرة أنساب النسخ ومن ثمّ تصحيح النصّ بحصر موطن الأخطاء ومصدرها وترجيح الأولى حسب معايير عقلية وسياقية مُعيّنة، لنتهي بهذا إلى المرحلة الثانية من **النقد الخارجي**، وهي مرحلة **نقد المصدر** بالتحليل الباطن، فيُعبّر فيها بالإجابة عن سؤال "من أين أتت الوثيقة؟" و "من مؤلفها؟" و "ما هو تاريخها؟"، وللإجابة عمّا سبق يتمّ التوسّل بخطّ الوثيقة ولغتها والصيغ والوقائع وتوافقها مع المؤلف عند وجود الأصل، فإذا غاب يتمّ عندها تحديد نسب النسخ ومن أخذ عمّن واختبار مدى توافقها في الرّوح والأسلوب لضبط الإسناد (Filiation)، ومن ثمّ تأتي مرحلة **ترتيب الوثائق** نقدياً حسب الزّمان أو المكان أو النّوع أو الشّكل أو الموضوع أو بعض هذه المعايير أو كلّها. وبعد ما سبق من الدّراسة الخارجية للوثيقة وإثبات نسبها، تأتي مرحلة إثبات مضمونها خلال عملية **النقد الباطني** التي تكون في مُستويين، الأول **نقد إيجابي** يُعبّر بتحليل مضمون الوثيقة للتأكّد ممّا أراد المؤلف قوله عبر مؤشّرات تطوّر اللغة والاستعمال الإقليمي والعرف والنّظم وطبقات النّاس وغيرها، والثاني **نقد سلبي** فيه تحليل للظّروف التي أنتجت فيها الوثيقة لضبط ومراقبة أقوال المؤلف انطلاقاً من كون الحقيقة لا تتقرّر بمجرّد الشهادة، والنّقد السلبي ذاته درجات، فمنه ما ينتمي إلى **الدّرجة الأولى**، ويكون فيما شاهده المؤلف، فيتمّ التأكّد من الظّروف العامّة لتأليف الوثيقة عبر سلسلي أسئلة مدار **الأولى** على وضع المؤلف وعلاقته بدافع الكذب، **والثانية** مناطها وضع المؤلف وعلاقته بدافع الخطأ، أمّا **الدّرجة الثانية**، فموضوعها ما لم يكن فيه المؤلف سوى ناقلاً وهو الأغلب، وفي هذه الدّرجة يظهر ضعف منهج البحث التاريخي نظراً لغياب السند من المؤلف إلى صاحب الخبر، وقد صرّح كثير من المؤرخين بأنّه من غير المنهجي نقد كلام شخص مجهول، ليخرج بهذا من يد النّقد تقريباً، ولكنهم حاولوا سدّ هذا النقص عبر طرح جملة من الأسئلة التي تهتمّ بدراسة ظروف المؤلف وطبيعة الواقعة، وبهذا تنتهي مرحلة النّقد التاريخي وتبدأ مرحلة العمليات التركيبية بدراسة الأحوال العامّة للبناء التاريخي ومناهج تصنيف الوقائع والبراهين البنائية وتشديد الصيغ العامّة ومن ثمّ العرض.⁵⁰

منهج البحث التاريخي ومنهج النقد عند المحدثين وجهاً لوجه⁵¹

وُلد الوعي الثقافي التاريخي وازدهر أساساً في ثرية المحدثين، ولا نكون مغالين إذا قلنا أنّ المحاولة التاريخية عند المحدثين تمّ استنساخها في البحوث التاريخية المعاصرة، فاحتمال الاستفادة المباشرة وارد جداً إذا استحضرنا الاتصال الثقافي بين الشرق والغرب عن طريق الأندلس وصقلية والشام ومصر خلال الحروب الصليبية، ناهيك عمّا ميّز محيط رانكه -رائد المدرسة الوضعية- من اهتمام بالموروث الإسلامي والتاريخ خاصّة بالإضافة إلى تدريس اللغة العربية في مؤسسات ثقافية عدّة، منها السربون التي انتمى إليها رانكه، وتأثره بأساتذة هم ذاهم متأثرون بالثقافة العربية الإسلامية كـ"يوهان غوته" المولع بالأدب العربي، وبارتولد نيبور الذي ظهر تأثره بمنهج ابن خلدون التاريخي في كتاباته مثل "تاريخ روما" أين ناط الأحداث الفردية بالنظم السياسية والاجتماعية لروما القديمة، وإن كُنّا نعدّ تجربة أسد رستم في كتابه "مصطلح التاريخ" استنساخاً صريحاً ومُعلنًا لمنهج المحدثين واستفادة جليّة من طريقتهم ومُصطلحاتهم، ولكن لو فرضنا عدم الاستفادة المباشرة - وهو وارد جداً - فإنّه لا غرابة أن يتقاطع منهج البحث التاريخي ومنهج النقد عند المحدثين في عدّة نقاط، فمجال بحث المؤرخين هو التاريخ، وهو ذات اهتمام المحدثين باعتبار أنّ أخبار النبي صلى الله عليه وسلم هي مُعطيات تاريخية خاصّة، وأمّا دوافع النقد فيشتك المنهجان في إدراك عدم التّطابق بين كثير من الأخبار وبين الحقيقة، لذلك يسعون لبيان الصّحيح من السّقيم عبر النقد، ويتفقان أيضاً في كون مدار النقد عندهم على كشف سببي الغلط في الأخبار، وهما الكذب والخطأ، كما يشترطان جهوداً سابقة للنقد منها جمع المادّة العلميّة والتّمكن من العلوم المساعدة بالإضافة إلى اشتراط الكفاءة والممارسة عند الناقد. وتبقى أهمّ نقاط الاشتراك بين المنهجين الآليات التّقنيّة المعتمدة في عمليّة النقد، فكلاهما يعي أهميّة التّأكّد من نسبة الخبر إلى ناقله وأهليّة الوسائط ومدى صحّة عزو الخبر إلى قائله وهو ما يُعبّر عنه بالنقد الخارجي، كما يشتركان في وجوب التّأكّد من علاقة الخبر بالقائل من حيث الدّوافع والمصالح، والتّأكّد أيضاً من صحّته من حيث إمكانيّة حصوله في الواقع، وهو ما يُعبّر عنه بالنقد الباطني، ويُمكن أن تُرجع سبب الاتّفاق في كثير من الآليات التّقنيّة النّقدية إلى أُحدية المصدر، وهو العقل، فكلّ القواعد النّقدية عند المحدثين أنتجها العقل وأقرّها تلبية لحاجيات مُعيّنة وإجابة على فرضيّات عقلية أوجبها السّياق، ومع ذلك فإنّنا نلاحظ اختلافات عديدة محلّها لوازم الإجراء النّقدي ذاته، فالمحدثون كَوّنوا قاعدة بيانات خاصّة بالنقد فقط، وتجمع أحوال الرّجال النّاقلين وتاريخهم وعلاقاتهم وتوجّهاتهم واختياراتهم ومنزلتهم ورحلاتهم، وأوردوا كلّ الاحتمالات العقلية للاتّصال والانقطاع وعالجوها، كما ضبطوا ملامح النّصّ النبوي وحدّدوا منزلته في الإطار الشرعي بحيث لا يُمكنه الخروج عن النّصّ القرآني أو النّصّ النبوي الموازي والصّحيح أو الأصول والقواعد الرّاسخة في المخيال العلمي عند علماء النّقد أو الإطار السّياقي والتّاريخي، أمّا المنهج التاريخي فقد أكّد على وجوب استعمال المعطيات التاريخية السابقة لكنّه لم يُوفّرهما، الأمر الذي جعل خزانة النقد التاريخي فقيرة الرّزاد النّقدي بسبب عدم تفكير السّابقين في الحفاظ على استدامة النّقد وتوفير لوازمه كما فعل المحدثون في علم الرّجال وعلم المصطلح وغيرها. ويبقى من أعمق الفوارق بين المنهجين اعتماد التاريخي على المشاهدة غير المباشرة، حيث أنّ أغلب المؤرّخين إذا كتبوا التاريخ لا يذكرون ما يُشاهدونه فقط، وإنّما يسطرون ما نما إلى سمعهم من الأخبار دون تحديد الوسائط، وهو ما سَمّاه لانجلو وسينوبوس "نقد درجة ثانية" مُعتبرينه غير مُمكن، والغريب أنّ هذا النّقد - وهو روح النّقد الباطني - يقع خارج إطار العمل النّقدي كما قالوا، أمّا المحدثون فقد جبروا مُشكلة "النّقد درجة ثانية" بإبداع آليّة الإسناد لتكون العُمدة، المشاهدة المباشرة، "وهو في هذه الحال لا يختلف كثيراً عن المنهج التّحريبي في القوّة، فإنّ الكيميائي (مثلاً) إذا أجرى تجربة مخبريّة... ثمّ نقلها لغيره، فإنّ الآخر ليس له ملاحظة مباشرة، وهو يعتمد على ثقته بصاحب الملاحظة المباشرة، والواقع يشهد أنّ المعارف التّحريبيّة لا يقع التّحقّق منها

مخبريًا عند كلّ من بلغته،، فإذا كان مبنى كلّ العلوم على ذلك، فلا غضاضة ولا ضعف في معارف المحدثين، خاصّة وأنهم يجبرون ذلك أيضا بمنهج نقدي يُراعي (الروايات في الباب) أي الملاحظات المباشرة التي لاحظها الآخرون من أقران الزاوي الأول في نفس المعنى، والتي تحكم بمجموعها على روايته، فما روي عن أبي هريرة عندهم محكوم بما روي عن غيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم⁵² لذلك يُمكن القول بأنّ الاختلاف بين منهج المحدثين ومنهج المؤرّخين يعود أساسا إلى تباين طبيعة المنهج، فمنهج البحث التاريخي هو منهج عامّ يُعنى بكلّ المعارف التاريخية، أمّا منهج المحدثين فمُختصّ في الخبر النبوي، ومن ثمّ فإنّ تطبيق المنهج التاريخي على النّصّ النبوي قهقرة خطيرة في سلّم الدقّة العلميّة، تماما كتطبيق قواعد الطّب العام على حالة تستوجب طبّ الاختصاص، وكذا العكس، فتطبيق منهج المحدثين على التاريخ عامّة مزلق منهجيّ خطير يُلغي الاختصاص ولا يُعتبره، ناهيك عن كونه تحاملا على الاختصاص وأهله، فعلم الرّجال الذي أبدعه المحدثون خاصّ بكفاءة الرّجال في رواية الحديث، وحالتهم في الحديث، ورحلاتهم لجمع الحديث دون غيره، لذلك فإنّه من الخطأ المنهجيّ تضعيف مختصّ في التاريخ لأنّه ضُعّف في الحديث، تماما كطعنك في أستاذ التاريخ لأنّه لا يملك كفايات مادّة الحديث، بل قد يكون اختيارا للزاوي أن يهتمّ بالتاريخ ولا يهتمّ بالحديث، أضف إلى ذلك أنّ الحديث النبوي قد غُلّمت مخارجه وضُبطت مداراته ومدارسه، ورُصدت بنيته وملاحمه تبعا لدراسة شخصية قائله في علم مُستقلّ موسوم بعلم السيرة، لذلك فإنّ معايير نقد الأسانيد والمُتون مُلازمة للنّبيّ صلى الله عليه وسلم بما له من خصوصيّة دينيّة واجتماعيّة وسياسيّة ونفسيّة وإيستيمولوجيّة وأنطولوجيّة، وما لا يُستغرب عزوه له قد يُستغرب عزوه لغيره، فعلينا حينئذ أن ندرس الاختصاص التاريخي من حيث مُميّزاته وروّاده حتى يتسنى النّقد المُختصّ.

← لم يُسهّم منهج النّقد عند المحدثين فقط في تأسيس منهج البحث التاريخي بصورته النّظرية العامّة، وإنّما أسّس أيضا علما فرعيا مُستقلاّ أُسمُهُ بـ "النّقد التاريخي المُختصّ"

المطلب الثّاني: أساليب عرض المادّة التاريخية

إنّ من موجبات الاستفادة من المعارف واستثمارها في الحقل العلمي إتقان عرضها وتصنيفها بما يُتيح للباحث الوصول إليها بسهولة، ولا تُرانا نُعالِي إذا قلنا بأنّ فساد العرض مقبرة للعلم ودفن لمكانه ناهيك عن كونه هدرًا للمعرفة الإنسانية خصوصا إذا طلبنا الدقّة والعُمق، وما انتشار العلم إلّا بحسن عرضه وجودة هيكلته وهندسته، وقد ساهمت أصالة عرض المادّة العلميّة عند المحدثين في انتشار علمهم واستنساخ تجاربهم في مجالات علميّة أخرى أبرزها علم التاريخ الذي استفاد الاستفادة الأكبر في مُستوى مناهج عرض تراجم الشّخصيّات التاريخية.⁵³

1- الطبقات

استقرّ المعنى الذي يؤوّل إليه معنى "الطبقة" في اللغة على التّمائل والتّساوي بين الشّيئين، وسَمّو مراتب النّاس ومنازل بعضهم فوق بعض "طبقات"⁵⁴، وأمّا في اصطلاح المحدثين فالطبقة هي القوم الذين تقاربوا في السن والإسناد أو في الإسناد فقط، بأن يكون شيوخ هذا هم شيوخ الآخر أو يقاربوا شيوخه، وقد يكون الراوي في طبقة باعتبار مشابته لها من وجه ومن طبقة أخرى لمشابته لها من وجه آخر⁵⁵.

وتجدد بنا الإشارة هنا إلى أنّ معنى الطبقة عند المحدثين جاء خادماً لمطلبهم الحديثي بناء على زاوية تناولهم، إلّا أنّهم -رغم ذلك- حازوا قصب السّبق في إبداع فلسفة الطبقة عامّة، والتي تقوم بالأساس على تقسيم النّاس زمنيا إلى مراتب مخصوصة حسب اعتبارات مخصوصة لخدمة أغراض علميّة مخصوصة، وهذا المنهج أصيل في ذاته أشاد به كبار المستشرقين كـ "روزنثال"

الذي صرح بأصالته وجزم بأنه أقدم تقسيم زمني وُجد في التفكير التاريخي الإسلامي وليست له أية علاقة في الأصل بطريقة الترتيب تبعاً للسنين التي كانت مألوفة في تقاليد التّراجم الإغريقي، وبين أن استعمال ترتيب الطبقات كان في أول الأمر مقصوراً على تراجم الشخصيات المهمة في نقل الحديث بمعالجة نسيبة مع "الإسناد الحديثي"⁵⁶.

ويُعدّ أقدم من اعتمد الطبقات بشكلها الدقيق الواقدي (204هـ) والهيثم بن عدي (207هـ) وابن سعد الزهري (230هـ) وعلي بن المديني (231هـ) وخليفة بن خياط العُصفري (240هـ) ومسلم بن الحجاج (261هـ)، وهي خاصّة برجال الحديث ومراتبهم، وقد اختلفت اعتبارات المصنّفين في الطبقات فمنهم من جعل معيار الطبقة التقارب في السنّ والإسناد كمن ذكرت سابقاً، ومنهم من اعتدّ بالإسناد فقط كبحشل في "التاريخ الأوسط" والذهبي في "تذكرة الحفاظ"، بل وصلت دقّتهم إلى رصد مؤلّفات تُعنى بطبقات التلاميذ والرواة عن الشيخ الواحد كـ"تاريخ عثمان الدارمي" (280هـ) ليحيى ابن معين (233هـ) و"طبقات النسائي" الذي ذكر فيه طبقات أصحاب نافع والأعمش⁵⁷. ثمّ استطالت هذه الثقافة إلى الكتب التي تُعنى بضبط تاريخ رجال العلوم حسب الاختصاص، كـ"طبقات القراء" لخليفة بن خياط (240هـ) و"طبقات الفقهاء" لأبي إسحاق الشيرازي (472هـ) و"طبقات الصوفيّة" لأبي عبد الرحمن السلمي (412هـ) و"طبقات فحول الشعراء" لمحمد بن سلام الجمحي (223هـ) و"طبقات التّحويين" لأبي بكر الزبيدي (379هـ) وغيرهم⁵⁸، ثمّ تجاوزت ثقافة الطبقات معيار الشخصيات التاريخيّة إلى الاعتبار بالزّمن كعمل الذهبي في "تاريخ الإسلام" أين قسّم المترجمين إلى سبعين طبقة، كلّ طبقة تُمثّل عشر سنوات⁵⁹.

هذا النوع من التصنيف سمح بإبراز العلاقات العلميّة والاجتماعيّة والسياسيّة بين الشخصيات التاريخيّة وبيان موقعها في سلّم التاريخ بشكل يُمهّد بطريقة جليّة للإبراز للوحدات التاريخيّة ويسمح بتكوين شبكة تاريخيّة واضحة المعالم تُضيق هاش الادّعاء والكذب وترفع التباس الأفراد وتوصّل لمناهج الفهرسة والترتيب كما ساهم أساساً في تكوين العقل التاريخي القائم على تحليل المعطيات وتصنيفها للاستثمار والاستفادة منها في فهم مجريات التاريخ وفلسفته.

4-الكفاءة العلميّة والعقليّة

لما كان مدار علوم الحديث على التوثيق والتّثبت من نسبة الأخبار إلى الرّسول صلى الله عليه وسلّم، كان مُعطى كفاءة النّقل أهمّ المطالب وأبرزها فاستدعى إرساء جهاز تقييم مُختص في تحديد الأهليّة اصطلاح عليه بـ"علم الجرح والتعديل"، وهو "علم يُعنى ببيان مراتب الرواة من حيث تضعيفهم و توثيقهم بتعابير فنيّة مُتعارف عليها عند علماء الحديث، وهي دقيقة الصياغة ومحدّدة الدلالة ممّا له أهميّة في نقد إسناد الحديث"⁶⁰. هذا العلم استوجب إبداع تنظيم مُختصّ لتراجم الرّجال قوامه الملكة العلميّة والالتزام الأخلاقي، فظهر التّقسيم على الكفاءة من خلال كتب الثّقات كـ"معرفة الثّقات" للعجلي (261هـ) و"الثّقات" لابن حبان (365هـ) و"تاريخ مشاهير الأمصار" له، وظهرت في المقابل كُتب اهتمّت بالضعفاء والمجروحين كـ"الضعفاء" ليحيى بن سعيد القطان (198هـ) و"الكامل في ضعفاء الرّجال" لابن عدي (365هـ) و"تاريخ أسماء الضّعفاء والكذّابين" لابن شاهين (385هـ)، وينعكس هذا المنهج في بعض كتب التاريخ التي جعلت الكفاءة معيار التصنيف من ذلك كتاب "الحققي والمغلّين" لابن الجوزي (597هـ).

2-النّسب

استمرّ اهتمام العرب بالأنساب في الإسلام باعتبارها أساساً للتنظيم الاجتماعي والإداري للأُمصار فضلاً عن كونها معطى تاريخي يهتمّ العرب حينئذ الحفاظ عليه، وقد زاد الاهتمام بها خصوصاً بعد التوسّع الجغرافي والتحوّلات الديمغرافية التي طرأت على العالم الإسلامي، واعتمدت منذ القدم في ترتيب المواد التاريخية، حتّى أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه رتب ديوان الجند حسبها، وراعى القرابة من النبي صلى الله عليه وسلّم في تسلسل القبائل، وظهرت كتابات خاصّة بالأنساب ككتابات هشام بن الكلبي (204هـ) ومؤرّج السدوسي (195هـ)، وقد أدّى اهتمام المحدثين بهذا العلم واستغلاهم له في معرفة تاريخ الرجال إلى اعتماده وسيلةً لترتيب التّراجم وفقه فكان أوّل من ألف بهذا التّرتيب خليفة بن الخياط (240هـ) ومحمّد بن سعد (230هـ) خصوصاً في حديثهم عن الصحابة رضي الله عنه أو التّابعين في بعض الأحيان، و اعتمد هذا التّرتيب أيضاً في "تسمية أولاد العشرة" لعليّ ابن المديني (234هـ) في طبقة أبناء الصحابة خاصّة.⁶¹

3-النّسبة

قسّمت مادّة التّراجم عند المحدثين باعتبار النّسبة إلى ثلاثة أقسام:

- بالنّسبة إلى البلدان: ظهرت كُتب ترجمت لرجال البلد الواحد، وبدأ هذا النوع في ثروة المحدثين كما قال الدكتور أكرم العمري: "الحافظ الأصلي هو الرغبة في خدمة علم الحديث عن طريق التعريف بالرواة ومواطنهم، فتواريخ الرجال المحليّة تدخل ضمن كتب الرجال ويجب أن يُنظر إليها من هذا المنظار"⁶² ومن هذا النوع كتاب "تاريخ نيسابور" للحاكم (405هـ) و تاريخ بغداد للبغدادى (463هـ)⁶³، ونرى لهذا المنهج حضوراً واسعاً في كتب التاريخ خارج نطاق علوم الحديث ككتاب "الصّلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وقضاةهم وأدبائهم" لابن بشكوال (578هـ) الذي توسّع فيه من حيث اختصاص الرجال، فاستغرق الأدباء والعلماء والقضاة والنحويين والفقهاء إضافة إلى المحدثين، وكتاب "حسن المحاضر في تاريخ مصر والقاهرة" للإمام السيوطي (911هـ) الذي ترجم فيه لمن دخل مصر أو عاش فيها من الفقهاء والمحدثين والنحاة والقصاصين والوعاظ والقضاة والأدباء والزهاد والشعراء والأمراء وغيرهم.⁶⁴

- بالنّسبة لمشايخ أحد الرواة: تتجلى هذه الطّريقة في كتب معاجم الشيوخ التي حوت ذكراً لشيخ أحد الرواة كـ "مشيخة النّسائي" (303هـ) و "معجم شيوخ أبي يعلى الموصلي" (307هـ)⁶⁵، وغالباً ما تكون التّراجم فيها مقصورة على ذكر الاسم والنّسب وتاريخ الوفاة.

- بالنّسبة لكتاب: اهتمّت بعض المؤلّفات بالترجمة لرجال إحدى دواوين السّنة المشهورة خاصّة، من ذلك "رجال الموطأ" لابن الأكفاني (524هـ) و "أسماء من روى عنهم البخاري" لابن عديّ (365هـ)⁶⁶

5-حروف المُعجم

هي طريقة حضرت بقوة في كتب تراجم المحدثين في ظلّ غياب الفهارس المضبوطة وصعوبة الوصول إلى المعلومة في منهج الطبقات، وقد اعتمدت مثلاً في كتاب "التاريخ الكبير" للإمام البخاري (256هـ) و "المجروحين" لابن حبان (365هـ) و "الكامل" لابن عديّ (365هـ)، إلّا أنّ المهمّ هنا أن نُشير إلى استنساخ المؤرّخين لهذه الطّريقة في كتبهم، ولا أدلّ على ذلك من كلام ابن تغري بردي الأتابكي (874هـ)⁶⁷ لما ذكر في مقدّمة كتابه " المنهل الصناني والمستوفي بعد الوافي"⁶⁸: " ووضعت

على الحروف وتواليها، لتتقرب ثمرات جناه من يد جانبيها كما سبقي إلى ذلك جماعة من المتقدمين وإلى الآن من أرباب الحديث وطبقات الفقهاء والأعيان"⁶⁹.

6-المنزلة الدينية

لكل علم رموزه، ولكل مقدساته التي تتحكم في مناهجه، وعلوم الحديث لم تكن استثناء في هذا الجانب، فقد اهتمت بسيرة النبي صلى الله عليه في علم خاص يُدعى بـ"السيرة النبوية"، كُتبت فيه مئات الكتب أشهرها "سيرة ابن إسحاق" (150هـ) و"سيرة ابن هشام" (204هـ)، كما اهتمت كذلك في تطبيقات علم الرجال بـ"الصحابة" رضي الله عنه في مؤلفات خاصة بهم لما لهم من منزلة دينية وقيمة تاريخية وأهمية علمية، من ذلك "أسد الغابة في معرفة الصحابة" لابن الأثير (630هـ) و"الإصابة في معرفة الصحابة" لابن حجر (856هـ)⁷⁰

7-الوضعية الاجتماعية

اعتمد التصنيف على الوضعية الاجتماعية في مؤلفات "الموالي"⁷¹ ككتاب "الموالي" لمحمد بن يوسف الكندي (350هـ) و"الفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي صلى الله عليه وسلم من الخدم والموالي" للسخاوي (902هـ)، وانعكس هذا المنهج في الكتابات التاريخية خارج نطاق علوم الحديث فألّف في تاريخ الشعر مثلاً "ديوان أشعار الموالى في العصر الأموي" لمحمود مقداد وفي تراجم الموالى "الموالى في العصر الأموي" لمحمد الطيّب نجار.

8-تقنيات الممارسة العلمية

بلغت الصنعة الحديثية من الدقة أن خصّصت جزءاً من كتب التراجم يُعنى بالرجال الذين لهم اختيارات تقنية في الأداء والتحمل العلمي بما يؤثر على الرواية، ونعني هنا كتب المدلسين⁷² كـ"أسماء المدلسين" للكرائسي البغدادي (245هـ) وكتاب "التبين في أسماء المدلسين" لإبراهيم الحلبي (841هـ).

9-الجنس

قامت بعض كتب التراجم باعتماد معيار الجنس في تصنيف مادتها العلمية وجعلت قسماً خاصاً بالرجال يُقسّم وفق معايير مختلفة، وقسماً خاصاً بالنساء وغالباً ما يكون في آخر الكتاب كصنيع ابن حجر (852هـ) في كتابه "الإصابة في معرفة الصحابة"، وفي المقابل اختصت بعض الكتب في أفراد تراجم يجمع بينها معيار الجنس ككتاب "الوفاء بأسماء النساء" للدكتور محمد أكرم الندوي (معاصر).

10-الأخلاق

لما كان الوضع مُعضلة لا يمكن أن تتولد إلا عن انحراف العدالة وفساد الذمم، كان تخصيص تراجم للوضّاعين ليس إلا عبارة عن جمع لمن اشتركوا في الكذب وفساد الخلق، ومن هنا يتأتى اعتبار الأخلاق معياراً لتصنيف التراجم، ومن أمثلة هذا الصنف كتاب "تذكرة الطالبين في بيان الموضوع وأصناف الوضّاعين" للشيخ الأثيوبي (1442هـ)

المبحث الثاني: دور علوم الحديث في خدمة علم التاريخ معرفيًا

لم تقتصر خدمة علوم الحديث للتاريخ على المستوى المنهجي فقط، وإنما استطلت لتستغرق الجانب المعرفي كذلك، وهو أفق كثيرًا ما يُغفله الباحثون، لذلك حاولت النظر إلى موروث المحدثين بعين المؤرخ لأستخرج أنماط التأثير، ومنها:

المطلب الأول: التعريف بالشخصيات التاريخية

استدعى المنهج التوثيقي الذي ارتضاه المحدثون التزوّد بمعطيات تاريخية غزيرة تتعلّق بالرواة، فانبروا لتأليف كتب تُعرّف الرجال وتضبط أحوالهم ونشأتهم ومحيطهم وتاريخهم قصد الحكم على الحديث، ليتجاوزوا بهذا الجهد الخدمة التوثيقية إلى الخدمة المعرفية الحرفية والدقيقة نظرًا للموروث التاريخي الضخم وغير المسبوق، الذي أفرزته هذه الجهود والمتعلّق بالشخصيات التاريخية. وفي إحصائية موجّهة استغرقت 50 كتابًا من كتب التراجم⁷³ أثبتت سعة المادّة التاريخية التي حوتها كتب التراجم في جهد غير مسبوق خدم الحقل التاريخي، حيث وصل العدد إلى قرابة 225000 ترجمة في الكتب المستهدف بالإحصائية، وهذا ليس إلا نتيجة استقراء جزئي، وإلا فكتب الرجال أكثر من أن تُحصى فضلًا عمّا حوته من الزاد التاريخي المجرد، وقد تحدّث بعض المستشرقين⁷⁴ عن عدد يُناهز نصف مليون ترجمة حوتها كتب الرجال عند المحدثين، لتكون بذلك علوم الحديث أبرز من خدم التاريخ على مستوى ترجمة الشخصيات التاريخية.

المطلب الثاني: خدمة التاريخ الاجتماعي:

يبحث التاريخ الاجتماعي في أفكار الماضيين وأشغالهم وعقائدهم وحاجاتهم وعاداتهم، ويركّز على حياتهم اليومية، بما في ذلك العلاقات البشرية والاقتصادية بين الطبقات المختلفة، وخصائص العائلة والحياة البيئية، وأحوال العمل والراحة وموقف الإنسان تجاه الطبيعة، وحضارة كلّ عصر بالشكل الذي ظهرت فيه هذه الأحوال العامة للحياة، وأشكالها التي تغيّرت فيها في الدّين والأدب والموسيقى والبناء والعلم والفكرة⁷⁵، وللتاريخ الاجتماعي عدّة مصادر مُتنوّعة يستمدّ منها مادّته العلمية أبرزها كتب الرجال والتراجم المختلفة، ولا نُعالي إذا قلنا بأنّ كلّ مجال يشمل التاريخ الاجتماعي إلاّ وفي كتب التراجم حديث عنه وإيراد لمفرداته، ولا غرابة في هذا إذا أدركنا - كما مرّ سابقًا - أنّ كتب التراجم تستوعب كلّ المعطيات التي تُعرّف الشخصية التاريخية من اسم ولقب ولباس ووظيفة ونشأة وبيئة واتّناء ومشايخ وتلاميذ وأقران ومنزلة علمية ووظيفة وعصر وغيرها، وهو صلب اختصاص التاريخ الاجتماعي، فكتاب الطبقات لابن سعد مثلاً، يقدّم صورة عن الحياة الاجتماعية في القرن الأوّل والثاني الهجري من خلال تقصّيه لعناصر الترجمة بكلّ أبعادها الإنسانية إضافة للعناصر العادية فيؤكّد على جوانب من الحياة الاجتماعية كطريقة معاشهم وملبسهم وفرشهم وأدواتهم وأثاثهم وأطعمتهم وعاداتهم الاجتماعية في الزواج والوفاة والجنائز والدّفن والولائم وغيرها⁷⁶، بل نجد في بعض كتب التراجم كـ"التكملة لوفيات النّقلة" للمندري اهتماماً بمراكز الثقافة في العالم الإسلامي ودور العلم من الجوامع والمساجد والرّبط والمدارس والجامعات ودور المرأة المسلمة في تاريخ الثقافة الإسلامية⁷⁷، كما أشارت بعض المصادر أيضاً إلى المعالم العمرانية المتعلّقة بالمدين الإسلامية خاصّة⁷⁸ وساهموا في بناء تاريخ المدن وأحوالها ولا أدلّ على ذلك من كتاب "تاريخ دمشق" لابن عساكر الذي خصّص مجلّدين من كتابه للحديث عن دمشق وفلها وتسميتها ونواحيها وزوّادها⁷⁹، وعدّ الدكتور صالح العلي⁸⁰ كتب التراجم أحد أهمّ مصادر دراسة تاريخ الكوفة في القرون الإسلامية الأولى⁸¹ وجعلها مصدراً أيضاً في دراسة خطط المدن (دراسة جغرافية)⁸² بل وصلت الدقّة ببعض كتب التراجم إلى الاهتمام تسجيل ألوان ملابس

المترجمين كدلالة على الذوق الجمالي العام في ذلك العصر⁸³، ويشير الدكتور بشّار عوّاد إلى أنّ لكتب التّراجم أهميّة تاريخيّة عميقة فهي ولا شك تدخل ضمن صور الكتابة التاريخيّة وتتضمّن معلومات لا بأس بها ماثورة في ثناياها،...، ومن أمثلة ذلك ذكر المدارس والمدرّسين والزيّط والروايات والمساجد والجوامع والخانقاهات، كما أنّها تلقي بعض الأضواء على الحياة الاجتماعيّة وما إلى ذلك من مجالات التاريخ المختلفة⁸⁴.

المطلب الثالث: خدمة التاريخ السياسي والعسكري:

يُعنى التاريخ السياسي والعسكري بأوضاع الحضارات المتعلّقة بالحكم والسلطة والتفوذ والجيوبوليتيك والقوى العسكريّة وتعاقب الدّول وتحالف والجهاث والصّالح والحرب وغيرها من المعاني السياسيّة والعسكريّة، وقد أوجب تَعَلُّقُ الحدث بالمحدث اهتمام كُتب التّراجم بكلّ ما يصدر عن الشّخصيّات المترجمة من تفاعلات سياسيّة وعسكريّة خصوصاً إذا كُنّا نتحدّث عن رجل سياسيّ أو عسكريّ، فتوسّعت هذه الكُتب في هذا المسار نظراً لخصوصيّة الدولة الإسلاميّة من حيث كثرة تقلّباتها السياسيّة وتعدّد العمليّات العسكريّة، ويبدأ إسهامهم من أيام الجاهليّة إلى شخصيّة الرّسول صلى الله عليه وسلّم وسياساته وحروبه، ثمّ الحديث عن الصّحابة وما خالط عصرهم من توسّع عسكري وأوضاع سياسيّة، وانتهاء بالحديث عن الخلفاء والملوك والأمراء المتعاقبين بتعاقب الحُكّام والنّظم السياسيّة.

المطلب الرابع: خدمة تاريخ البلدان

مهمّ جدّاً أن ندرك كونيّة الرّسالة المحمّديّة في تعاملنا مع علوم الحديث واستقصاء آثارها في محيطها العلميّ، وأن نعلم خاصّة أنّ عدم الاعتراف بالحدود الجغرافيّة يمهّد لانتشار المدارس العلميّة وتفرّق العلماء وتعدّد الروايات في كلّ الأقطار، ما أدّى إلى إثقال كاهل المحدثين في الكشف عن إمكانيّات الاتّصال العلمي بين الرّواة، ولولا الفكر التّفكيكي التّخصّصي عند المحدثين لضاع الحديث في طيّات المناهج الفضفاضة الصّوريّة، لذلك فإنّ ما قام به العلماء من تصنيف العلماء جغرافياً وتحديد دخولهم وخروجهم نادر جدّاً في الصّناعة التاريخيّة، خصوصاً إذا أدركنا عميق أثر الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة للأوطان على المعرفة. كلّ ما سبق مهّد لتأسيس علم قائم بذاته يُسمّى بـ"تاريخ البلدان" أو "التّواريخ المحليّة"، ظهر منذ النّصف الثّاني من القرن الثّالث الهجري وتوسّع على مرّ الزّمن⁸⁵، و يُعنى أساساً بترجمة رجال البلد الواحد، كما يهتمّ - في المقدّمات غالباً - بالحديث عن البلد ذاته، فيحقّقون تسميته وتاريخ بنائه وما ورد في فضله وأحواله والأمصار المتّصلة به و يورد أهمّ الأحداث المتّصلة به ومنزلته في الدولة الإسلاميّة وشيئا من الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة وغيرها، كلّ هذا - وإن كان الهدف منه التّقديم لتراجم أهل البلد - فإنّه بلا ريب زاد معرفتي تاريخي لا نظير له يعزّ وجوده حتى في كُتب التاريخ الموسّعة، وقد أثر هذا النمط في الكتابة التاريخيّة فانتجحه كثير من المؤرّخين سيرا على المنوال السّابق، "ومن الجدير بالذّكر أنّ تواريخ البلدان المعنيّة بالتّراجم هي غير كُتب التّراجم المرتبة على البلدان"⁸⁶، ومن أبرز ما ألف في هذا الفنّ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 463هـ وتاريخ دمشق لابن عساكر 571هـ.

المطلب الخامس: ضبط المعرفة التاريخية

ما كانت ثقافة التّوثيق من المعلومة التاريخيّة تنتشر وتزدهر بل وتظهر أصلاً لولا الدّافع الدّيني الذي فرض الحفاظ على الموروث التّشريعي وكلاءته ممّا قد يشوبه من الوهم والكذب، وتعدّد جهود المحدثين في حفظ خبر النّبّي صلى الله عليه وسلّم أهمّ مظهر من مظاهر ضبط المعلومة التاريخيّة لما حواه من تدقيق في معطيات عديدة استدعاها المنهج العام، ولئن كان الهدف الأساسي من هذا الجهد نقد الأحاديث النّبويّة، فإنّهم ساهموا - بقصد أو بغير قصد - في ضبط معارف تاريخيّة متنوّعة لا علاقة لها بالنّصّ

التبوي، فعلم الأنساب مثلاً تطوّر عند المسلمين بتأثير علم الحديث، حيث كانت الأنساب قائمة عندما بدأ علم التاريخ الإسلامي يظهر إلى الوجود، بل ربّما كان النسب أسبق من التاريخ في التدوين، وكان القصد من افتخار الناس بأجدادهم، فلمّا انتشر الإسلام في مساحات شاسعة من المعمورة، وسكن العرب في المدن واشتغلوا بالعلوم والآداب والفنون ومارسوا كافّة النشاطات الثقافيّة وانصرفوا إلى المهن والحرف، وأسلم عدد ضخم من الأعاجم، اختلطت الأنساب وظهرت أنساب جديدة بالإضافة إلى القبيلة والعشيرة والجنس، كالنسبة إلى المدن والقرى والمذهب الفقهي والعقدي والصنعة وغيرها⁸⁷، لأجل هذا كان من المهمّ الاهتمام بالنسب قبل اندثاره وتداخله، وألّف المحدثون في هذا العلم عدّة كتابات كـ"النسب الكبير" لأبي اليقظان (190هـ) و"كتاب النسب" للقاسم بن سلام (224هـ) وكتاب "الأنساب" للسمعاني (562هـ) ممّا ساهم في جمع الأنساب وضبطها وتحقيقها⁸⁸، كما اهتمّوا بضبط الأسماء والألقاب والكنى وتحقيقها بدقّة بالغة لتنشأ علوم في الغرض، منها علم المؤلف والمختلف الذي يهتمّ بما يأتلف خطأ أو صورة أو شكلاً ويختلف معنى، وعلم المفترق والمتفق الذي يُعنى بما يتفق من أسماء الأشخاص رغم اختلاف ذواتهم، والمشتبه فيمن اتفقوا في الاسم واختلفوا في اسم الأب، وظهرت في هذه الفنون عدّة كتابات منها "المؤتلف والمختلف" للذارقطني (365هـ) و"المتفق والمفترق" للخطيب البغدادي (463هـ) و"المعجم في مشتبه أسامي المحدثين" لأبي الفضل الهروي (كان حيّاً 438هـ)، وألّفوا أيضاً في الأسماء والكنى ككتاب "الأسماء والكنى" للإمام أحمد (241هـ)، وفي الألقاب كـ"زهة الألباب" لابن حجر (852هـ)، وحتى في المنسوبين إلى غير آبائهم ومن ذُكر بأسماء أو صفات مختلفة، كـ"كتاب التّووي فيمن عُرف بأمه" و"موضح أوام الجمع والتفريق" للخطيب البغدادي (463هـ)، وممّا بالغ المحدثون في الاهتمام به، مُعطى الوفاة، نظراً لحاجتهم إليه في تحقيق اتصال الرّواة في الأسانيد، فألّفوا فيه عشرات الكتب والمصنّفات منها "الوفيات" لأبي المعالي محمّد بن رافع السّلامي (774هـ) و"التكملة لوفيات النّقلة" للمنزري (656هـ)، ويُعدّ هذا المعطى أحد أبرز المعلومات التاريخيّة على الإطلاق، فترتيب الأحداث وضبط الوقائع مُتّصل بالشخصيّة التي لا يُحدّد المسار التاريخي إلّا بتحديد عصرها بداية ونهاية. كلّ هذا الضّبط المعرفي - وإن كان دافعه ومجاله الحديث التّبوي الشّريف - فإنّه ساهم في تحقيق معطيات تاريخيّة مُتنوّعة ما كانت لتضبط لولا هذه الجهود، خصوصاً وأنّ رّواة الحديث هم في الأصل شخصيّات تاريخيّة مُتعدّدة الوظائف الاجتماعيّة والثقافيّة والسياسيّة وغيرها.

المطلب السادس: بعث التعليم التاريخي:

لا يُمكن لأيّ علم من العلوم أن يتجلّى في المنوال العلمي دون مؤسسات التعليم التي تُقرّره وتبثّه وتعمل على نشره وتدرّسه، وهو ما يجعل الجهاز التربوي قاسماً مُشتركاً بين كلّ العلوم، ومُساهماً في شهرتها وتوسّع الاهتمام بها وتأصيلها، وممّا يشدّ الاهتمام أنّ جدلاً واسعاً بدأ من القديم يبحث فيما إذا كان التاريخ علماً أم لا، الأمر الذي جعل استهدافه بالهياكل التعليميّة الخاصّة نادراً جدّاً، فقد أشار روزنثال في كتابه "علم التاريخ عند المسلمين" بعد أن درس مسار تطوّر التاريخ في الحقل العلمي الإسلامي منذ نشأته، إلى أنّه -أيّ التاريخ- لم يُشكّل قسماً من التّربية العالية الإسلاميّة، بل الواقع يُشير إلى أنّه لم يصل أصلاً إلى مركز الموضوع المدرسي سواء في المحيط الذي نبت فيه العلوم الإغريقيّة أو في النّظام الرسمي للتّربية الدّينيّة الإسلاميّة الذي تبلور في القرن الحادي عشر، وبين أنّ عدم توقّر الأدلّة يُثبت أنّ التاريخ الدّنيوي لم يكن مُتمثلاً في منهاج أيّ مدرسة في أيّ بلد كان من أرجاء الإسلام⁸⁹، وفي المقابل نجد علم الحديث قد نصب مؤسساته التعليميّة من قديم لتدارس سيرة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، والبحث في تاريخ رّواة الحديث ليجعل التّواريخ المحليّة موضوعاً للتّدرّس، ويظهر هذا جليّاً في مجالس الإملاء التي اشتهر بها المحدثون ونشروا فيها -إلى جانب الحديث- تاريخ الرّجال وأحوالهم، فقد درّس السّمعاني⁹⁰ "معرفه الصّحابة" لابن منده في

بجالسه⁹¹، بل إنَّ كُتِبَ السُّؤالات الحديثية⁹² تزخر بالكلام في تاريخ الرجال وأحوالهم ورحلاتهم العلمية، ككتاب "من كلام يحيى بن معين في الرجال" الذي جمعه التلاميذ ممَّا وعوه في مجالس التحديث، "وهكذا كان يتوقَّر دائماً بعض التعليم المدرسي في الموضوعات التاريخية، وتشهد على ذلك الهوامش التي تكتب والإجازات التي تُدَوَّن في آخر المخطوطات التاريخية"⁹³، وعليه فإنَّ لعلوم الحديث الفضل الأكبر في نشأة التعليم التاريخي ودعمه بيداغوجياً بأساليب التدريس وطرائق التلقِّي والتعليم، ناهيك عن الدور الأساسي الذي يحظى به النشاط التعليمي عموماً في حفظ المعرفة، لذلك فالقول بأنَّ جزءاً وفيراً من المادَّة التاريخية حُفِظت في مدارس المحدثين وبجالسهم ليس ببعيد.

خاتمة

بعد دراسة التّقاطعات المعرفية والمنهجية بين علوم الحديث والعلوم الإنسانية عبر نموذج "علم التاريخ"، توصّلت إلى جملة من النتائج أهمّها:

- 1- علوم الحديث هي التربة التي نشأ فيها علم التاريخ عند العرب، ومنها انبثق التعليم التاريخي والتأليف العلمي.
- 2- أسهمت علوم الحديث في ضبط طرائق التثبّت من الأخبار التاريخية.
- 3- أضفت علوم الحديث على علم التاريخ صفة العلمية.
- 4- قدّمت علوم الحديث لعلم التاريخ خزانة معرفية ثرية جدّاً على مستوى الشخصيات والعادات والتقاليد والأحداث والثقافة والجغرافيا وغيرها.

وأوصي بـ:

- 1- بحث موسوعة تاريخية لمعطيات علوم الحديث تُعنى بترتيب علوم الحديث وفق المعارف والمناهج التاريخية .
- 2- الاهتمام بدراسات تداخل علم الحديث مع العلوم الإنسانية والاجتماعية.

- ¹ البغدادي، الخطيب، 1357هـ، الكفاية في علم الرواية، دائرة المعارف العثمانية، د.ع.ط، فصل وما يستدل به على كذب المحدث روايته عمن لم يدرك، معرفة تاريخ موت المروي عنه ومولد الراوي، ح303.
- ² مؤنس، حسين، 2001، التاريخ والمؤرخون، دار الشروق، بيروت، ط1، ص74.
- ³ انظر: المسلمون وكتابة التاريخ، عبد العليم خضر، ص285. نقلا عن بروكلمان.
- ⁴ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، مؤرخ ومحدث، ولد سنة 392هـ وتوفي سنة 463هـ، له مصنفات كثيرة تبلغ ستة وخمسين مصنفا، ومن أشهر مؤلفاته تاريخ بغداد وكتاب "الكفاية في علم الرواية" وكتاب "الجامع لأدب الشيخ والسامع". (الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، م18، ص575).
- ⁵ أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري المعروف بابن عبد البر (368هـ - 463هـ) إمام وفقه مالكي ومحدث ومؤرخ أندلسي، له العديد من التصانيف والكتب. (ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط المدينة، 1972، ص367).
- ⁶ شمس الدين الذهبي، ولد سنة 673هـ وتوفي سنة 748هـ، محدث وإمام حافظ. جمع بين ميزتين لم يجتمعا إلا للأفذاذ القلائل في تاريخنا، فهو يجمع إلى جانب الإحاطة الواسعة بالتاريخ الإسلامي حوادث ورجالا، المعرفة الواسعة بقواعد الجرح والتعديل للرجال، فكان وحده مدرسة قائمة بذاتها. (تاريخ الإسلام، الذهبي، تح د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003 م ص20-45).
- ⁷ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضؤ بن درع القرشي الحنصلي، البصري، الشافعي، ثم الدمشقي، محدث ومفسر وفقه ومؤرخ، ولد سنة 701هـ وتوفي سنة 774هـ (ابن كثير، البداية والنهاية، تح عبد الله التركي، دار هجر، ط1، بيروت، 1997م، م13، ص1-33).
- ⁸ عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضير الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، محدث ومؤرخ ومفسر وفقه، ولد سنة 849هـ وتوفي سنة 911هـ (عبد الحفيظ فرغلي القرني، الحفاظ جلال الدين السيوطي، سلسلة أعلام العرب (37)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990م).
- ⁹ أنجريس، مورييس، منهجية البحث في العلوم الإنسانية، بوزيد صحراوي وكمال بوشرف وسعيد سبعون، ط دار القصة للنشر، الجزائر، ط1، 2006، ص54-55.
- ¹⁰ انظر:
- ابن منظور، 1988م، لسان العرب، دار الجليل، بيروت، د.ط، (مادة أُرَخ)، ج1، ص44.
- السخاوي، 1986م، الإعلان بالتبويخ لمن ذم أهل التاريخ، ترجمة فرانز روزنتال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، ص16.
- الجوهري، 1987م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، ج4، ص1، ج1، ص200.
- ¹¹ محيي الدين محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الكافيجي الرومي، من كبار العلماء بالمعقولات، عرف بالكافيجي لكثرة اعتنائه بالكافية في النحو، و قيل أنه صاحب أول تصنيف في علم التاريخ (انظر: الزركلي، الأعلام، دار العلم، دمشق، ط5، 2002، ج6، ص150).
- ¹² الكافيجي، علم التاريخ عند المسلمين (المختصر في علم التاريخ)، تحقيق روزنتال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1983، ص327.
- ¹³ المؤرخ والمحدث شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد، بن أبي بكر، بن عثمان بن محمد السخاوي نسبة إلى سخا شمال مصر، توفي سنة 902هـ، من أعلام مؤرخي عصر الماليك، من أهم تصانيفه الإعلان بتبويخ من ذم التاريخ. (محمد عبد الله عنان، شمس الدين السخاوي، حياته وتراثه، مجلة الرسالة، العدد 1935/6/103، 24م والعدد 104، 1935/7/1م).
- ¹⁴ م.س، ص19.
- ¹⁵ الزاهر مزي، 1984م، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تح عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ص517.
- ¹⁶ ابن حزم، 1348هـ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح محمد علي صبيح، مكتبة السلام العالمية، بيروت، م2، ص81-82.
- ¹⁷ راجع في فضل الإسناد: كتاب الإسناد من الدين، عبد الفتاح أبو غدة، 1982م، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط3، بيروت، ص11-32.
- ¹⁸ الطبري، أبو جعفر، د.ت.ط، تاريخ الرسل والملوك، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، مصر، ج1، ص7-8.
- ¹⁹ م.س، ج1، ص17.
- ²⁰ م.س، ج1، ص36.
- ²¹ م.س، ج1، ص10.
- ²² الواقدي، د.ت.ط، المغازي، تح جونس، دار عالم الكتاب، د.ر.ط، مصر، ج3، ص873.
- ²³ ابن كثير، د.ت.ط، البداية والنهاية، دار بيت الأفكار الدولية، د.ر.ط، بيروت، ص136.
- ²⁴ انظر: حسين، عاصي، 1993م، خليفة بن الحيات في تاريخه وطبقاته، ط دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ص67.
- ²⁵ الطبري، ن.م، ج1، ص37.
- ²⁶ الواقدي، ن.م، ج3، ص1025.

- ²⁷ الطبري، ن.م، ج 3، ص 347.
- ²⁸ م.س، ج 3، ص 34.
- ²⁹ الطبري، ن.م، ج 2، ص 20.
- ³⁰ نذكر على سبيل المثال في فتح مصر نقله عن ابن لهيعة وابن حبيب من المصريين، وعروة بن الزبير وغيره من المدنيين(انظر:عاصي، حسين، خليفة بن خياط في تاريخه وطبقاته، ص 64)
- ³¹ الطبري، ن.م، ج 2، ص 355.
- ³² م.س، ج 2، ص 272.
- ³³ م.س، ج 2، ص 145.
- ³⁴ للتوسع في منهج الإمام الطبري نقد الأخبار على منهج المحدثين: الحلبية، نبيلة، 2014م، منهج الإمام الطبري في نقد الأحاديث، دار المأثور، ط 1، مكة، ج 1، ص 58-65.
- ³⁵ الطبري، ن.م، ج 3، ص 429.
- ³⁶ محمد بن السائب الكلبي (م.س، ج 1، ص 310) واسماعيل بن عبد الرحمن السدي (م.س، ج 1، ص 225) نقلا عن بشار عواد، مظاهر تأثير علم الحديث في التاريخ، ص 27.
- ³⁷ يُقال أنّ هكتايوس هو أول من نقد الأخبار فإنه كتب في أصل الشعب اليوناني وقال: "ولست أثبت هنا إلا الحكاية التي أعتقد صحتها، فإنّ أساطير اليوناني كثيرة وهي عندي خرافة"(رستم، أسد، مصطلح التاريخ، ص 5)
- ³⁸ م.س، ص 5.
- ³⁹ من أقوال بعض المؤرخين والمستشرقين في الإشادة بمنهج المحدثين:
- تقول الباحثة في الأديان كارين أرمسترونج: "تكوّن الأحاديث النبوية مع القرآن أصول الشريعة الإسلامية، كما أصبحت أساساً للحياة اليومية والروحية لكل مسلم. فقد علّمت السنّة المسلمين محاكاة أسلوب محمد في الكلام، والأكل، والحب، والاعتزال، والعبادة، لدرجة يعيدون معها إنتاج حياة النبي محمد على الأرض في أدق تفاصيل حياتهم اليومية بأسلوب واقعي" (أرمسترونج، كارين، سيرة النبي محمد ص 388 ترجمة د. فاطمة نصر : د. محمد عناني 1998م شركة صحارى : كتاب سطور).
- يقول المستشرق القسّ مرجوليوت: "ليفخر المسلمون ما شاؤوا بعلم حديثهم"(مرجوليوت، دافيد صامويل، المقالات العلميّة، ص 234-253).
- ⁴⁰ يعدّ كتاب "مدخل إلى الدراسات التاريخية" للكاتبين "لأنجلو" و"سينوبوس" أقدم محاولة تأصيليّة لمنهج البحث التاريخي فيما أعلم، لذلك سيكون هذا الكتاب الأساس في عر المنهج التقدي التاريخي مع الاستئناس بكتاب "مصطلح التاريخ" لأسد رستم" باعتباره أول محاولة عربيّة لتأصيل البحث العلمي التاريخ مع ميزة المقارنة الموضوعيّة مع منهج المحدثين والاستفادة من جهودهم واصطلاحهم .
- ⁴¹ روزنثال، التاريخ عند المسلمين، المختصر في علم التاريخ للكافيحي، ص 336-337.
- ⁴² م.س، ص 340-342.
- ⁴³ م.س، ص 337.
- ⁴⁴ م.س، ص 495-498.
- ⁴⁵ السبكي، 1990م، تاج الدّين، قاعدة في المؤرخين، تح أبو غدة، دار البشائر، بيروت، ط 1، ص 66-71.
- ⁴⁶ م.س، ص 337.
- ⁴⁷ العروي، عبد الله، مفهوم التاريخ، ص 219 نقلا عن عبد الرحمن السلمي في كتابه " منهج التقد عند المحدثين وعلاقته بالمنهج التاريخي، ص 79.
- ⁴⁸ بدوي، عبد الرحمن، 1977م، مناهج البحث، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 3، ص 7-12.
- ⁴⁹ مؤنس، حسين، التاريخ والمؤرخون، ص 69.
- ⁵⁰ انظر للتوسع:
- لأنجلو وسينوبوس، مدخل إلى الدراسات التاريخية، ص 5-164.
- أسد رستم، مصطلح التاريخ، ص 14-133.
- ⁵¹ كثيرة هي الكتب التي غُيّت بالمقارنة بين المنهج التاريخي ومنهج المحدثين إلاّ أعمق دراسة وقفت عليها لعبد الرحمن السلمي في كتابه " المنهج التقدي عند المحدثين وعلاقته بالمناهج التقديّة التاريخيّة".
- ⁵² السلمي، عبد الرحمن، المنهج التقدي عند المحدثين وعلاقته بالمناهج التقديّة التاريخيّة، ص 93.
- ⁵³ قد يجتمع أكثر من منهج في نفس المؤلّف كاجتماع معيار الأنساب ومعيار الطبقات في طبقات ابن سعد(230هـ) مثلاً.

⁵⁴ ابن منظور، لسان العرب، مادة (طبق)، ج 9، ص 89.

⁵⁵ ابن الصلاح، 1981م، علوم الحديث، تح نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1، ص 399.

⁵⁶ انظر: روزنتال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ص 134.

⁵⁷ للتوسع في مؤلفات هذا النوع راجع: الزوينشي، عؤاد، رواة الحديث، ص 869-871.

⁵⁸ راجع للتوسع:

- العمري، أكرم ضياء، 1984م، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، مكتبة العلوم والحكم، ط المدينة المنورة، ط 5، ص 80-90.

- الزهراني، محمد مطر، 1996م، علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، ط دار المحررة، السعودية، ط 1، ص 37-76.

⁵⁹ انظر:

- روزنتال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ص 134.

- الزوينشي، عؤاد، رواة الحديث، ص 49.

⁶⁰ العمري، أكرم ضياء، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص 83.

⁶¹ انظر: م.س، ص 231-240.

⁶² م.س، ص 201.

⁶³ راجع للتوسع في كتب البلدان عند المحدثين: م.س، ص 143-149.

⁶⁴ راجع للتوسع في كتب البلدان عند غير المحدثين والتي برز فيها انعكاس منهج المحدثين: الزوينشي، عؤاد، رواة الحديث، ص 519.

⁶⁵ راجع للتوسع: العمري، أكرم ضياء، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص 156-160.

⁶⁶ راجع للتوسع: الزهراني، علم الرجال، ص 229-231.

⁶⁷ أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردي الأتابكي الظاهري، مؤرخ مصري، ولد سنة 813 هـ وتوفي سنة 874 هـ (المقريزي)، 1996م السلوك لمعرفة دول الملوك، دار الكتب، القاهرة.

⁶⁸ كتاب تراجم يحوي مختلف الأعيان من العلماء والفقهاء والمحدثين والملوك والأمراء وغيرهم.

⁶⁹ الأتابكي، بردي، 1956م، المنهل الصنافي والمستوفي بعد الوافي، دار الكتب المصرية، مصر، د.ر.ط، ج 1 ص 3. نقلا عن بشار عؤاد في مقال "مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ" ص 33.

⁷⁰ راجع للتوسع:

- الكتاني، عبد الحي، الرسالة المستطرفة، ص 94-96.

- العمري، أكرم ضياء، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص 64-73.

- الزهراني، علم الرجال، ص 97-104.

⁷¹ "الموالي من أعلى، أو من أسفل، بالرق، وبالحلف، أو بالإسلام، لأن كل ذلك يُطلق عليه مولى، ولا يُعرف تمييز ذلك إلا بالتنصيص عليه" (ابن حجر، نزهة النظر، ص 188).

⁷² التذليل قسمان: أحدهما تذليل الإسناد وهو أن يروي عمن لقيه ما لم يسمعه منه موها أنه سمعه منه، أو عمن عاصره ولم يلقه موها أنه قد لقيه وسمع منه ثم قد يكون بينهما واحد وقد يكون أكثر والقسم الثاني تذليل الشيوخ وهو أن يروي عن شيخ حديثا سمعه منه فيسميه أو يكتبه أو ينسبه أو يصفه بما لا يُعرف به كي لا يُعرف (ابن الصلاح، علوم الحديث، ص 73-74) وذكر بعض العلماء تقسيمات فرعية لهذه الأقسام الكبرى لا يسمح المجال ببسطها (راجع: عتر، نور الدين، منهج النقد عند المحدثين، ص 381-383).

⁷³ معايير اختيار كتب التراجم هي الشهرة والقيمة العلمية والقدرة على الوصول إليها.

⁷⁴ يقول العالم الألماني (أشيره نكر) في مقدمة كتاب (صانه) "إن الدنيا: لم تر ولن ترى أمة مثل المسلمين!! فقد دُرس بفضل علم الرجال الذي أوجدوه حياة نصف مليون رجل" (صبري، مصطفى، موقف العلم والعقل والعالم، ج 4، ص 59).

⁷⁵ العلي، صالح أحمد، التاريخ الاجتماعي، ص 59.

⁷⁶ انظر: السامرائي، ظمياء، 2010، كتب الطبقات وأهميتها في دراسة التاريخ الاجتماعي، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 2، السنة جامعة تكريت، بغداد، ص 483.

⁷⁷ انظر: عؤاد، بشار، سنة 1968م، الميزري وكتابه التكملة لوقيات التقلة، مطبعة الاداب، بغداد، ص 15-16.

⁷⁸ انظر: العلي، صالح أحمد، سنة 1974م، المعالم العمرانية في مكة المكرمة، مجلة المجمع العلمي العراقي، م 40، ص 17.

⁷⁹ راجع: ابن عساكر، تاريخ دمشق، دار الفكر، د.ط، م 1-2.

- ⁸⁰ صالح أحمد العلي ولد سنة 1918م وتوفي سنة 2003، مؤرخ وأكاديمي عراقي، رئيس المجمع العلمي العراقي، وهو من أكثر الباحثين تنقيباً عن تاريخ العرب (راجع: المؤرخ صالح أحمد العلي، حميد المطيعي، بيت الحكمة، بغداد، د.ر.ط، سنة 2002).
- ⁸¹ أنظر: العلي، صالح أحمد، سنة 1989م، مصادر دراسة تاريخ بغداد في القرون الإسلامية الأولى، مجلة المجمع العلمي العراقي، م24، ج1، ص159-171.
- ⁸² العلي، صالح أحمد، سنة 1967م، مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية، مجلة المجمع العلمي العراقي، م14، ج1، ص17-29.
- ⁸³ العلي، صالح أحمد، سنة 1975م، ألوان الملابس العربية في العهود الإسلامية الأولى، مجلة المجمع العلمي العراقي، م26، ج1، ص83-84.
- ⁸⁴ عواد، بشار، مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين، ص31.
- ⁸⁵ العمري، أكرم ضياء، بحوث في السنة المشرفة، ص62.
- ⁸⁶ عواد، بشار، 2018م، تاريخ البلدان، الثقافة العربية في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، م1، ص635.
- ⁸⁷ أنظر: عواد، بشار، مظاهر تأثير علوم الحديث في التاريخ، ص35-36.
- ⁸⁸ توسع بكر أبو زيد في استقصاء كتب الأنساب في كتابه "طبقات التستايين".
- ⁸⁹ أنظر: روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ص61.
- ⁹⁰ الإمام الحافظ الكبير الأوحى الثقة محدث خراسان، أبو السعد السمعاني، ولد سنة 506هـ وتوفي سنة 562هـ. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، م20، ص456)
- ⁹¹ السمعاني، 1977م، الأنساب، تح عبد الرحمن المعلمي اليماني، ط دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط1، ج1، ص60.
- ⁹² ي كتب تختص بجمع الأجوبة التي يتلقاها السائل لشيخه أو شيوخه في علم الحديث، وهي كتب جمعت في مادتها بعض سؤالات وسماعات الراوي لشيخه حول قضايا علوم الحديث المختلفة - من معرفة الرواة وأحوالهم ومروياتهم وغير ذلك، ومنها:

- 1- سؤالات عثمان أبي شيبة لعلی بن المدینی
 - 2- سؤالات مسعود بن علي السجزي للحاكم النيسابوري
- ⁹³ م.س، ص62.

قائمة المراجع والمصادر:

- 1- ابن الصلاح، علوم الحديث، تح نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، د.ت.ط
- 2- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح محمد علي صبيح، مكتبة السلام العالمية، بيروت، 1348هـ
- 3- ابن عساكر، 1995م، تاريخ دمشق، دار الفكر، د.ط.
- 4- ابن كثير، البداية والنهاية، دار بيت الأفكار الدولية، د.ر.ط، بيروت.
- 5- ابن منظور، 1988م، لسان العرب، دار الجليل، بيروت، د.ط.
- 6- أبو غدة، عبد الفتاح، 1982م، الإسناد من الدين، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط3، بيروت
- 7- الأتابكي، بردي، 1956م، المنهل الصنفي والمستوفي بعد الوافي، دار الكتب المصرية، مصر، د.ر.ط
- 8- أسد رستم، 1994، مصطلح التاريخ، المكتبة العصرية، بيروت، ط1
- 9- أنجوس، موريس، 2006، منهجية البحث في العلوم الإنسانية، بوزيد صحراوي وكمال بوشرف وسعيد سبعون، ط دار القصة للنشر، الجزائر، ط1
- 10- بدوي، عبد الرحمن، 1977م، مناهج البحث، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3
- 11- البغدادي، الخطيب، 1357هـ، الكفاية في علم الرواية، دائرة المعارف العثمانية، د.ع.ط
- 12- الجوهري، 1987م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت.
- 13- حسين، عاصي، 1993م، خليفة بن الحيات في تاريخه وطبقاته، ط دار الكتب العلمية، ط1، بيروت

- 14- الحليبة، نبيلة، 2014م منهج الإمام الطبري نقد الأخبار على منهج المحدثين: منهج الإمام الطبري في نقد الأحاديث، دار المأثور، ط1، مكة
- 15- الزاهر مزي، 1984م، المحدث الفاصل بين الرأوي والواعي، تح عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت
- 16- الزهراني، محمد مطر، 1996م ، علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، ط دار الهجرة، السعودية، ط1
- 17- السامرائي، ظمياء 2010، كتب الطبقات وأهميتها في دراسة التاريخ الاجتماعي، مجلة آداب الفراهيدي، العدد2، جامعة تكريت، بغداد.
- 18- السبكي، تاج الدين، 1990م ، قاعدة في المؤرخين، تح أبو غدة، دار البشائر، بيروت، ط1
- 19- السخاوي، 1986م ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ترجمة فرانز روزنتال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1
- 20- السلمي، عبد الرحمن، 2018.، منهج النقد عند المحدثين وعلاقته بالمنهج التاريخي، دار نماء، الرياض، ط1
- 21- السمعاني، 1977م ، الأنساب، تح عبد الرحمن المعلمي اليماني، ط دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط1
- 22- شاكر، مصطفى، 1983م ، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط1
- 23- الطبري، أبو جعفر، تاريخ الرسل والملوك، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، مصر، د.ت.ط
- 24- العلي، صالح أحمد، 1974م ، المعالم العمرانية في مكة المكرمة، مجلة المجمع العلمي العراقي، م40
- 25- العلي، صالح أحمد، 1975م، ألوان الملابس العربية في العهود الإسلامية الأولى، مجلة المجمع العلمي العراقي، م26، ج1
- 26- العلي، صالح أحمد، 1989م ، مصادر دراسة تاريخ بغداد في القرون الإسلامية الأولى، مجلة المجمع العلمي العراقي، م24، ج1.
- 27- العلي، صالح أحمد، 1967م ، مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية، مجلة المجمع العلمي العراقي، م14، ج1
- 28- العمري، أكرم ضياء، 1984م ، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، مكتبة العلوم والحكم، ط المدينة المنورة، ط5
- 29- عواد، بشار، المركز العربي للعلوم الإنسانية، د.ط، د.ت.ط، د.م.ط، مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين
- 30- عواد، بشار، 1968م ، المنذري وكتابه التكملة لوفيات النقلة، مطبعة الاداب، بغداد
- 31- عواد، بشار، 2018م ، تاريخ البلدان، الثقافة العربية في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت
- 32- الكافيجي، 1983، علم التاريخ عند المسلمين(المختصر في علم التاريخ)، تحقيق روزنتال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2.
- 33- محمد عبد الله عنان، 1935م ، شمس الدين السخاوي، حياته وتراثه، مجلة الرسالة، العدد 103، 1935/6/104، العدد 104

LIST OF REFERENCES AND SOURCES IN ROMAN SCRIPT

- 1- abn alsslah, eulum alhadithi, tah nur alddyn eatra, dar alfikr almueasiri, bayrut, ta1, da.ta.t
- 2- abin hazma, alfasl fi almalal wal'ahwa' walnnhl, tuh muhamad eali subih, maktabat alsalam alealmyt, bayrut, 1348h
- 3- abn easakiri, 1995m, tarikh dimashqa, dar alfikri, du.ti.
- 4- abin kathir, albidayat walnnhayt, dar bayt al'afkar alddwlyt, di.ri.ti, bayrut.
- 1- abn manzur, 1988m, lisan alearbi, dar aljili, birut, du.ti.
- 2- 'abu ghuddt, eabd alfttah, 1982m , al'iisnad min alddyn, maktabat almatbueat al'islamyt, ta3, bayrut
- 3- al'atabki, bardi, 1956m , almunhil alsanafiu walmustawfi baed alwafi, dar alkutub almsryt, masr, da.ru.t
- 4- 'asad rustum, 1994, mustalah alttarykh, almaktabat alesryt, bayrut, ta1
- 5- 'anjiris, muris, 2006, mnhyt albahth fi aleulum al'insanyt, biwzid sahrawi wakamal bushraf wasaeid sabewun, t dar alqasabat llnshr, aljazayir, ta1
- 6- bdui, eabd alrrhman, 1977m , manahij albahtha, wikalat almatbueati, alkuayti, ta3
- 7- albaghdadi, alkhatab, 1357ha , alkifayat fi eilm alrrwayt,dayrt almaearif alethmany, di.ea.t
- 8- aljawhari, 1987mi, alsshah taj allughat wasihah alerbyt, dar aleilm lilmalayini, birut.
- 9- hsin, easi, 1993m , khalifat bin alkhyat fi tarikhih watabaqatihi, t dar alkutub alelmyt, ta1, bayrut
- 10- alhalibati, nabilata,, 2014m manhaj al'iimam altabarii naqd al'akhbar ealaa manhaj almuhammadthyn: manhaj al'iimam alttbry fi naqd al'ahaditha, dar almathur, ta1, mkk
- 11- alrramhrmy, 1984ma, almuhammadth alfasil bayn alrrawy walwaei, tih ejaj alkhatab, dar alfikri, bayrut
- 12- alzzhrany, mhmmd mutr, 1996m , ealm alrrjal nash'atuh wttwrrh min alqarn alawwl 'iilaa nihayat alqarn alttase, t dar alhijrati, alsewdyt, tu1
- 13- alssamrany, zamy'a' 2010, kutub alttbqat wahmmytha fi dirasat alttarykh alaijtimaeii, mjlit adab alfarahidi, aleadadu2, jamieat tikrit, baghdad.
- 14- alssbky, taj alddyn, 1990m , qaeidat fi almwrrkhyn, tah 'abu ghddt, dar albashayir, bayrut, ta1
- 15- alsskhawy, 1986m , al'iielan bialtawbikh liman dhm 'ahl alttarykh, tarjamat franz ruzintal, mwssst alrrsalt, bayrut, ta1
- 16- alsslmy, eabd alrrhman, 2018., manhaj alnqd eind almhddthyn waealaqatih bialmanhaj alttarykhy, dar nama', alrryad, ta1
- 17- alssmeany, 1977m , al'ansab, tah eabd alrrhman almuellmy alyamani, t dayirat almaearif alethmany, alhinda, ta1
- 18- shakri, mustafaa, 1983m , altaarikh alearabiu walmwrrkhwn, dar aleilm lilmalayini, bayrut, ta1

- 19- altabri, 'abu jaefara, tarikh alrrsl walmuluka, tah mhmmd 'abu alfadl 'iibrahim, dar almaearifi, ta2, masr, da.ta.t
- 20- aleali, salih 'ahmad, 1974m , almaealim alemranyt fi mkkt almukrrmt, mjllt almajmae aleilmii aleiraqii, mi40
- 21- aleali, salih 'ahmadu, 1975ma, 'alwan almalabis alerbyt fi aleuhud al'islamyt al'uwlaa, mjllt almajmae aleilmii aleiraqii, ma26, ji1
- 22- aleali, salih 'ahmadu, 1989m , masadir dirasat tarikh baghdad fi alqurun al'islamyt al'uwlaa, mjllt almajmae aleilmii aleiraqii, ma24, ja1.
- 23- aleali, salih 'ahmad, 1967m , masadir dirasat khutat baghdad fi aleusur alebbasyt, mjllt almajmae aleilmii aleiraqii, ma14, ji1
- 24- aleamri, 'akram daya', 1984m , buhuth fi tarikh alsntt almushrrft, maktabat aleulum walhikmi, t almadinat almnwwrt, tu5
- 25- ewwad, bshshar, almarkaz alearabiu lileulum al'insanyt, du.ta, da.ta.t, da.ma.ta, mazahir tathir eilm alhadith fi eilm alttarykh eind almuslimin
- 26- ewwad, bshshar, 1968m , almundhry wakitabuh alttkmlt lwfyat alnnqlt, matbaeat aladab, baghdad
- 27- ewwad, bshshar, 2018m , tarikh albuldan, alththqaft alerbyt fi alqarn aleishrina, markaz dirasat alwahdat alerbyt, bayrut
alkafiji, 1983, eilm altaarikh eind almuslimina(alimukhtasar fi eilm alttarykh), tahqiq ruzintal, muasasat alrrsalt, bayrut, ta2.



V .4.0

JOURNAL INDEXING

مَجَلَّةُ التَّرَاثِ

AL TVRATH Journal (ALTJ)

ثلاثية، دولية، دورية، محكمة، تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية

متعددة التخصصات، متعددة اللغات

Trimestral, International, Periodic And Arbitrated Manner, Devoted To Human And Social Studies

Multidisciplinary, Multilingual.

LEGAL DEPOSIT: 2011- 1934

ISSN: 2253-0339

E-ISSN: 2602-6813



TOGETHER WE REACH THE GOAL



Scientific Indexing Services



معامل التأثير والاستشهادات المرجعية العربي
Arab Citation & Impact Factor

ScienceGate Academic Search Engine



الكشاف العربي
للإستشهادات المرجعية